



الباقيات الصالحات
للطباعة والنشر

تجسم الأعمال

على ضوء مباني الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

المراجع الشيخ
حسين المطوع

المؤلف الشيخ
إبراهيم القديم

تجسم الأعمال

الأحد
موقع الأوحى
Awhad.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ



الباقيات الصالحات
للطباعة والنشر

اسم الكتاب: تجسم الأعمال (على ضوء مباني الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي)

المؤلف: الشيخ إبراهيم القديم

المراجع: الشيخ حسين المطوع

مصمم الغلاف: السيد هيثم يوسف

الناشر: دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر - بيروت - بئر العبد

للتواصل: DarAlBaqyatAlSalihat@gmail.com

نجم الأعمال

على ضوء مباني الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

مراجعة

تأليف

الشيخ حسين المطوع

الشيخ إبراهيم القديم

ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله
تخير خليطاً من فعالك إنما
ولا بد بعد الموت من أن تُعده
فإن تك مشغولاً بشيء فلا تكن
فلن يصحب الإنسان من بعد موته
يقيم قليلاً بينهم ثم يرحلُ
قرينُ الفتى في القبر ما كان يفعلُ
ليوم ينادى المرءُ فيه فيقبلُ
بغير الذي يرضى به الله تشغلُ
ومن قبله إلا الذي كان يعملُ

الإهداء

تذبح الرعية القرايين حمداً لسلامة ملوكها..

أما الكتاب..

فيذبحون الأقلام حمداً لسلامتك..

إلى سيدي ومولاي جناب الحكيم الإلهي والفقيه الرباني المولى

الميرزا عبدالله نجل المعظم خادم الشريعة

الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي

أهدي هذا الكتاب

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

لا شك أن الفوز بكمال الانقطاع إلى الله - سبحانه وتعالى - لا يتأتى إلا بالمجاهدة العميقة للنفس .. فمرحلة وصولها إلى أن تكون مرآة صقيلة لها قابلية ظهور أشعة أنوار الجلال والجمال عليها بحاجة إلى مراقبة أمور عديدة .

ومنها اليقظة التي يشتد حبلها متانة كلما ارتقى السالك في منازل سلوكه . فكلما غلظ وصعب منزله احتاج إلى يقظة أقوى وأرسخ لكي يتمكن من طي مراتبه والترقي إلى المنزل الأعلى منه .

وحتماً إن أعظم بواعث اليقظة ، التي إما أن تكون من تفضل الله سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما

برح لله - عزت الآؤه - في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم؛ فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفتدة»^(١).

أو تكون مكتسبة من تهيئة الأسباب لها - بالإضافة إلى توفيق الله عز وجل فيها أيضاً - كدوام التفكير في الموت والمبدأ والمعاد، وفي سنن الله في الآيات الأنفسية والآفاقية وغير ذلك؛ هو الوقوف على حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر^(٢).

فإذا توصل السالك إلى حقائق الأشياء، كحقيقة وجوداتها أو حقيقة تجسمها؛ شع من قبس ذلك الوصول النور الذي قال فيه أمير المؤمنين: «اليقظة نور»^(٣).

فيكون حينئذ متفرساً به في نظره إلى الأشياء، كما قال النبي الأعظم محمد ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل»^(٤).

وهذه الفراسة هي التي تجعل جميع جنود الجوارح والأعضاء متحركة في إقبالها نحو الصالحات الطيبة، وفي إدبارها عن الطالحات

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٦ ص ٣٢٥ ب ٣٧/٣ صفات خيار العباد وأولياء الله ح ٣٩.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٩.

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٣ ص ٢٢٨٣.

(٤) الكافي - الكليني: ج ١ ص ٢١٨ ك/الحجة ب/ أن المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة عليهم السلام ح ٣.

الخبثية.. حتى تنقطع النفس بالكلية عن مشاهدة الأغيار، وتصل بترقيها إلى ساحة الأحرار.

من هنا جاء المقام الأول لسطور هذا البحث - المقتضب - بمثابة الصعقة الروحية التي من شأنها أن تعيد للنفس روح مسيرتها، وتجدد لها كيان انتفاضتها في الطريق إلى الله - سبحانه وتعالى -.

فلا أستطيع إنكار وقع تأثيرها وتأثيرها حينما اتصلت ببحر حقيقة تجسم الأعمال.

فمما لا شك فيه حصول الآثار العديدة في حين إدراك هذه المسألة بالرغم من تشعبها وصعوبة تفسير مسلكها، ومن أهمها الرؤية الأخرى لذاقة روح الحقائق، والنبض الذي يتسع في الفؤاد بالرجاء تارة وبالخوف تارة أخرى.

خصوصاً حينما يرتبط أساس البحث بمنهج حكيم من الحكماء المتألهين، وعارف من عرفاء الشيعة الغني عن التعريف في ساحة مجاهدة النفس، وتهذيبها القائم على ما ورد في منهاج الشرع الإسلامي

الأصيل ، وهو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره ، المشهور في الوسط الفكري "بالشيخ الأوحد الأحسائي"^(١).

وحتى لا تضيع ثمار هذا الجهد وددت نقل طياته إلى كل من رام في طلب ولو شيء يسير من الحقائق والدقائق في تجسم الأعمال ، بأبسط عبارة تمكنت منها قابليتي في البسط ، وبأسهل أسلوب وجدته ملائماً ومناسباً لطرح مثل هذا النوع من المسائل الحكمية.

وأخيراً أسأل الله أن أكون قد وفقت في ذلك ، وأديت حق الأمانة بما يليق بمستقرها في ميزان القبول عند مولانا صاحب الأمر عليه السلام.

الشيخ إبراهيم القديم

الأحساء

(١) هو الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين ، بن إبراهيم ، بن صقر ، بن إبراهيم ، بن داغر بن رمضان ، بن راشد ، بن دهيم ، بن شمروخ آل صقر ، ولد في قرية المطير في - من قرى الأحساء - في شهر رجب عام (١١٦٦هـ) ، لقب بالشيخ الأوحد لغزارة علمه وتنوع مصنفاه ، أتى عليه العديد من العلماء ونال من بعضهم إجازات بعضها مطبوع ، اشتهر بزهده وورعه وتقواه وبقاوة طريقة مسلكه في العرفان الإسلامي الأصيل ، من أشهر مؤلفاته : شرح الزيارة الجامعة ، شرح العرشية ، شرح المشاعر ، شرح فوائد الحكمة ، توفي وهو في سفره الأخير إلى بيت الله الحرام في شهر ذي القعدة عام (١٢٤١هـ) في منطقة تسمى هدية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ونقل جثمانه ودفن في المدينة المنورة في البقيع بالقرب من قبور الأئمة الأربعة عليهم السلام . لسيرة الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٩-١٣ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ج ١ ص ٥٣ ، إجازات الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٥ . روضات الجنات - الخوانساري : ج ١ ص ٢٩٧.

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مطالب :

الأول: العمل في سفر الإنسان التكاملي

الثاني: الأعمال حقائق وجودية لا اعتبارية

الثالث: علاقة العمل بالمادة والصورة

المطلب الأول: العمل في سفر الإنسان التكاملي

حينما ندير دفة الحديث نحو الحركة التكاملية للإنسان، أو نحو حركة سيره وسلوكه إلى الله ﷻ كما يصطلح على ذلك العرفاء والحكماء في كلماتهم للوصول إلى الغاية الحقيقية من خلقه، وهي الخروج إلى أعلى مراتب القرب والدنو منه ﷻ لاستحقاق السعادة الأبدية^(١)؛ سنجد أن أصحاب هذا الفن قد انشغلوا على مر العصور في تحديد أساس مرتكزاتها التي لم تخلُ من جانبيين هامين، وهما:

أولاً: الجانب العلمي، وهو معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه في الواقع بالدليل الكشفي العياني؛ أي: بالعلم الذوقي، وهذا ما يصطلح عليه بالحكمة العلمية^(٢).

ثانياً: الجانب العملي، وهو الإتيان بالأعمال والأقوال والأفعال بالإيقاع المقرر في حدود الشرع؛ كإخلاص النية لوجهه سبحانه

(١) الرسالة الرشدية "ضمن جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٩ ص ٢٦.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٩.

وتعالى ، وتحقق الكيفية المصدقية في عالم الثبوت بالصورة الصحيحة التي دل عليها الشرع ، وكغير ذلك من أمور لها ارتباط بصميم العمل أو القول أو الفعل أو ما يتعلق بها^(١) ، وهذا ما يصطلح عليه بالحكمة العملية^(٢) .

وحينما يلتفت الإنسان إلى حقيقة الأمر - أي : يلتفت إلى الغاية الحقيقية من وجوده^(٣) - ، ويعزم على السفر إلى الله عز وجل لا بد له من الجانب الأول لينير له الطريق ، ومن الجانب الثاني ليعرج به في منزله ومقاماته .

ومن دونهما أو من دون أحدهما لن يحصل له بلوغ الغاية أبداً^(٤) ؛ لأنه :

١- إن لم يعتن بهما معاً لن يحصل له السفر قطعاً ؛ لأن السفر للراحل في منزلتهما ومقامتهما لا للمقيم^(٥) .

(١) شرح الزيارة الجامعة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٠١ .

(٣) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي : ج ٢ ص ١٦ .

(٤) رسالة في السلوك إلى مقام القرب "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ١١ ص ٢٩

(٥) الرسالة البحرانية "تراث الشيخ الأوحاد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٣٢ .

٢- وإن اعتنى بالأول دون الثاني سيحصل له رؤية ولكن من دون سير، فهو كالناظر لغاية الأمر من بعيد دون الوصول إليها^(١)، ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»^(٢).

٣- وإن اعتنى بالثاني دون الأول ضاع في سيره؛ لأن حقائق الأشياء لن تبدو له على ما هي عليه في واقع الأمر^(٣)، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أول الدين معرفته»^(٤).

ولو أغضضنا النظر - أولاً - عن العلاقة التلازمية بينهما للوصول إلى الغاية الحقيقية وهي الكمال، فلا علم إلا بالعمل، ولا عمل إلا بالعلم^(٥)، و - ثانياً - عن الجانب النظري وما يحويه من أمور لها أهمية بالغة في مضامين السير إلى الله عز وجل، وجعلنا التركيز منصباً على الجانب العملي الذي هو روح الجانب النظري^(٦)، سنجد أن مجرد الإتيان

(١) الرسالة التولية "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٨ ص ٢١١.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ص ٤٤ ك/ فضل العلم ب/ استعمال العلم ح ٢.

(٣) رسالة في جواب الآخوند الملا محمد حسين الباقفي "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١٠ ص ٢٧٧.

(٤) نهج البلاغة - الشريف الرضي: ج ١ ب/ المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ... ص ١٤ خطبة رقم (١).

(٥) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥.

(٦) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٣٦.

بالعمل غير كافٍ لمن قصد الترقى في مراتب كمالاته ؛ بل يجب عليه مراعاة عدة ضوابط في فاعلية انفعال آثاره ، ومنها :

١- أن يكون إيقاع كل شيء في الجانب العملي كما قد قرر في حدود الشرع حداً بحد . كما قلنا في تعريف الحكمة العملية - ؛ لأن الإتيان بالأعمال الظاهرية ممكن التحقق مفهوماً حتى بغير المشروع ، كما في أعمال الطرق البعيدة كل البعد عن الله - سبحانه وتعالى -^(١) .

فلو نظرنا إلى مفهوم الصلاة أو الصيام أو التهجد أو الدعاء .. سنجد أنها مفاهيم موجودة حتى في الديانات غير الإسلامية ؛ ولكن هل مصاديق هذه المفاهيم - الأعمال - في جميع تلك الملل والنحل والطوائف قد تم سبكها في الخارج كما قرره الشرع الإلهي الأصيل ، أم لا ؟

بمعنى آخر ..

إن مفهوم الصلاة - مثلاً - له وجود في دستور الإنسان المسلم وفي دستور الإنسان البوذي أيضاً ؛ ولكن لكل منهما مصداق مختلف تماماً عن الآخر ، ومن المعلوم أن كيفية التحقق إذا وقعت بالصورة الباطلة في

(١) الحجة البالغة - السيد كاظم الرشتي : ص ٥١-٥٣ .

عالم الثبوت فإنها لا توصل إلى الغاية الحقيقية بل إلى شيء آخر ؛ لأن ما ابتدأ بما فرضه الله ﷻ انتهى إليه ، وما ابتدأ بغيره انتهى إلى غيره^(١) .
 من هنا جاء الإيقاع بالكيفية المشروعة قيد في الإتيان ، والشرع - سواء أكان الكتاب أو السنة - مستند لتلك الأعمال وغيرها ؛ لأنه الأصل الذي تستنبط منه^(٢) .

٢- إخلاص النية لله - سبحانه وتعالى - ؛ لأن العمل وإن وقع ظاهره في الزمان على حسب حدود الشرع ، وكان مجزياً بالحكم الفقهي ، إلا أن وجوده الكوني الحاوي على أسراره وثمراته لا يتم إلا بباطنه^(٣) .
 ولذا قال النبي الأعظم محمد ﷺ : «نية المؤمن خير من عمله»^(٤) .
 وقال ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٥) .
 وقال ﷺ في وصيته لأبي ذر : «يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية ، حتى في النوم والأكل»^(٦) .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٤٢

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٩٧ .

(٣) رسالة في جواب الشيخ محمد ابن الشيخ علي القظيفي "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١١ ص ١٥١٤ .

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٦٧ ص ٢١٢ ب ٥٣ / النية وشرايطها ومراتبها ... ح ٣٥ .

(٥) عوالي اللئالي - ابن أبي جمهور الأحسائي : ج ١ ص ٨١ ف ٥ / في أحاديث تتعلق بمعالم الدين .. ج ٣ .

(٦) وسائل الشيعة - الحر العاملي : ج ١ ص ٤٨ ب ٥ / وجوب النية في العبادات ... ح ٨/٩٠ .

فإخلاص النية تعتبر ركناً أساسياً في باطن العمل^(١).
ويراد بالإخلاص الذي هو روح النية: الإرادة الخالصة، أو القوة
الفاعلة الباعثة للإنسان على الفعل^(٢).
أما النية التي هي الأصل الأصيل في تشخص حقيقة العمل فيراد
بها: عقد الفؤاد، أو ظهور وتجلي نور الشيء فيه بوثوق وإحكام.
لأنه - أي: الفؤاد - محل المعارف الإلهية، وأعلى مشاعر
الإنسان^(٣)؛ ولذا قالوا بأن العقيدة - لغة - : مشتقة من العقد، وهو
الجمع بين أطراف الشيء بوثوق وإحكام^(٤).
فهي (إخلاص النية) بتركيبها تعد ذات فعالية عالية في التأثير على
الأعمال وغيرها، وموجبة لقبولها أيضاً، ونسبتها إلى العمل كنسبة
الروح إلى البدن؛ أي: إنه كلما كانت أكثر خلوصاً وإرادة ووثاقة في
الفؤاد كان العمل أكثر قبولاً من ناحية منجزيته، وأكثر تحقّقاً لانفعال
الآثار المنطوية عليه^(٥).

(١) الرسالة الخطابية "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٧٣.

(٢) كفاية الأصول - الآخوند الخرساني: ج ١ ص ١٩١.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ص ٦٥٤ / مادة (عقد).

(٥) رسائل آل طوق القطيفي - الشيخ أحمد آل طوق القطيفي: ج ٢ ص ٤٥٢.

وعلى ذلك ..

من أراد الحصول على مقبولية العمل وآثاره فعليه أن يعلم أن
المناط الحقيقي ليس بكثرة ظاهره ومدى رونقه ؛ بل بتحقيق باطنه على
الوجه المقرر المشروع^(١).

٣- تهذيب النفس وتعديل أحوالها (علم الطريقة) لتصل إلى
مرحلة اليقين والاطمئنان^(٢) ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٦٠﴾
ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾^(٣) ؛ وذلك لأن صلاح النفس وفسادها
مؤثر تام في إخضاع وانقياد القوى الطبيعية الفعلية - والجنبه الملكوتية
كذلك - نحو العمل.

فإذا صلحت صفحة النفس حبيت وجذبت ظاهر الإنسان وباطنه
إلى الطاعة ، وإذا خربت حبيته وجذفته إلى المعصية ؛ لأن كل شيء له
ميل واستمداد مما هو مثله .. الأشياء النورانية تميل إلى النور وتستمد
منه ، والظلمانية تميل إلى الظلمة وتستمد منها^(٤).

(١) الرسالة الرشدية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٩ ص ٢٣.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢١٨.

(٣) سورة الفجر : (٢٧-٢٨-٢٩-٣٠).

(٤) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢١٨.

ولهذا جاء الأمر بتقوية جانب اعتبار الإنسان من ربه ؛ أي :
 جانب تخلية وجوده بالصالح من الطاعات ، وبإماتة جانب اعتباره من
 نفسه ؛ أي : جانب تخلية نفسه وتطهيرها من الأدران والصفات
 الشيطانية والرذائل النفسانية^(١) كما قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❁
 وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٢) ، في طليعة وصايا المرشدين الروحانيين والمربين
 الإلهيين^(٣) .

ومن المعلوم أن تلبس النفس بحالة التقوى من أعلى علامات
 صلاحها المؤدية إلى النور الذي (يكتبه سبحانه في قلب الشخص بقلم
 أعماله وأقواله واعتقاداته)^(٤) ؛ لأن الأعمال وغيرها لا تقبل إلا من
 المتقي الذي قام بأوامره واجتنب نواهيه - سبحانه وتعالى - على الوجه
 المقرر ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥) .

ويجب أن ندرك أن حالة التقوى الحقيقية لا تكتمل إلا بالتقوى
 الباطنية التي هي ولاية الغير^(٦) .

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٠٧ .

(٢) سورة الشمس : (٩-١٠) .

(٣) الرسالة البحرانية "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٣٢ .

(٤) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٦١ .

(٥) سورة المائدة : (٢٧) .

(٦) رسالة في جواب الميرزا جعفر النواب "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٥٤ .

أي : ولا يهتمهم - صلوات الله وسلامه عليهم - ، والبراءة من أعدائهم^(١) ؛ لأن كل (أركان الإيمان ودعائمه وأقسامه من ظاهر وباطن وقول وعمل ، ومن تقسيماته على الجوارح والقوى والمشاعر والحواس الظاهرة والباطنة من فروعهم وشعاع ولايتهم ، ومن مرسوم هديهم وسبيل سنتهم ، ولا يقبل الله شيئاً إلا بولايتهم واتباعهم)^(٢) .
وعلى أي حال..

ليس المقصود من تقرير جملة ضوابط الجانب العملي في كتب السير والسلوك إعانة المسافر للوصول إلى غايته فحسب ؛ بل جعل نفسه في أن تكون صالحة للسير نحو الله - سبحانه وتعالى - هو الأساس منها ؛ لأن جوهر الأمر هو سفر في النور وإلى النور^(٣) .

في النور ؛ أي : بالذي جاؤوا وأقروا به - صلوات الله عليهم - من الأعمال وغيرها. فنريد بذلك آلية السير المستمدة منهم في السفر لا من غيرهم ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(٤) .

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٥٩ .

(٢) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٨٣ .

(٣) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٨٨ .

(٤) سورة النور : (٣٥) .

وأما إلى النور؛ أي: إلى مشابهة جهة المبدأ الذي خلق من شعاعه، وهو أثر أنوارهم - صلوات الله عليهم -، فنريد بذلك الغاية. ومصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: «نور أشرق من صبح الأزل فيظهر على هياكل التوحيد آثاره»^(١).

وقوله عليه السلام: «خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابته أوائل جواهر عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت أضدادها فقد شارك بها السبع الشداد»^(٢).

وهذا من الأمور الهامة التي يجب أن يراعى الالتفات إليها قبل وأثناء السير؛ إذ البعض يعتقد أن هناك طريقاً يجب قطعه وتجاوز عقباته الكؤود، وكأن الظلمة تُنسب إلى هذا الطريق، وأنه كلما انقشعت أو جليت ظلمة فيه بان وظهر للمسافر معالم سيره، وتقدم في منازل سفره.. وهكذا هو يكون في تقدم مستمر ما دام الأمر لديه منوطاً بكشف الظلام الموجود هناك!

(١) نور البراهين - السيد نعمة الله الجزائري: ج ١ / شرح حديث كميل بن زياد في الحقيقة ص ٢٢١.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤٠ ب ٩٣ / علمه عليه السلام وأن النبي علمه ألف باب وأنه محدث ص ١٦٥

والحقيقة أن الأمر ليس كذلك قطعاً؛ لأن طريق السير هو نور، ولا يوجد فيه إلا النور.

وما مصداق السير الحثيث إلا عبارة عن:

١- سير الإنسان في جانب إماتة اعتباره من نفسه، وذلك بإصلاحها وتصفيتها بكشف الغواشي والحجب الدنيوية لتشرق سبحات الجلال عليها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة»^(١).

فإن المراد بالكشف هنا: الإزالة^(٢)، والسبحات: (جمع سبحة، وهي النور والشعاع)^(٣)، والجلال: (ذات الشخص؛ أعني: حقيقته من ربه)^(٤).

فالظلمة تنسب إلى كدورة النفس لا إلى الطريق نفسه.

٢- سيره في تقوية جانب اعتباره من ربه حتى تتجاوز تلك النفس مراتب ما يازائها؛ وهي: النفس الأمارة، والنفس الملهمة، والنفس

(١) نور البراهين - السيد نعمة الله الجزائري: ج ١/ شرح حديث كميل بن زياد في الحقيقة ص ٢٢١.

(٢) جواب الملا كاظم السمباني "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٩١.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١١.

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١١.

اللوامة ، وتصل بعد ذلك إلى مرحلة تكون فيها راضية ، ثم مرضية ، ثم مطمئنة (كاملة)^(١) ؛ أي : تكون مرآة صقيلة تنعكس عليها أشعة النور المشرق من صبح الأزل^(٢) .

حينها فقط يسمح لها بولوج تلك الديار كما قال تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٤﴾﴾ .

والدليل على ذلك هو :

إن الذي سينكشف للسالك بعد مراحل معينة من سفره ليس الطريق نفسه ؛ بل كل (ما جمع قلبه ونظره وفكره ولسانه وجوارحه عليه من حق أو باطل)^(٤) .

أي : ما انطوت عليه سريرة نفسه ؛ لأن الشيء لا يمكنه تجاوز رتبة كونه والوصول إلى رتبة الأعلى منه مهما بلغ من الكمال .
فالسير والكشف إذاً :

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٩٩-١٠٠ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٣٥١ .

(٣) سورة الفجر : (٢٧-٢٨-٢٩-٣٠) .

(٤) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٣٥ .

أولاً: جاريان على ما في النفس لا على الطريق نفسه ، ولا على شيء آخر كذاته - سبحانه وتعالى - كما يتوهم البعض بذلك في غاية الأمر ؛ لأنه قديم والحوادث لا تنتهي إلا إلى حوادث مثلها^(١) ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « انتهى المخلوق إلى مثله ، وأجأه الطلب إلى شكله »^(٢) .

وثانياً: لكي يستطيع الإنسان قطع فيافي ذلك الطريق ، أو الإبحار في لججه ، أو جس دياره ؛ يجب عليه أن يحمل نفس خصائصه .
أي : يجب أن تكون صورة نفسه - أو صورة هيئة عمله ؛ لأن نفس العامل متصورة بهيئة العمل كما سيأتي لاحقاً - نورانية ظاهراً وباطناً ، لا صورة ظلمانية .. وإلا فلن يخطو خطوة واحدة في طريق النور^(٣) .

(١) رسالة في جواب الميرزا جعفر النواب "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) الخطبة اليتيمة ، محفوظة في المكتبة الوطنية في طهران ، ضمن مجموعة رسائل رقم : (٧٤٤ع) ص ٢٨٧ .

(٣) رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقي السمناني "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٨٦ .

المطلب الثاني: الأعمال حقائق وجودية لا اعتبارية

كل شيء قَبِلَ الوجود فهو حادث تركيب من زوجين اثنين هما المادة والصورة^(١)؛ سواء أكان جوهرًا أو عرضًا، ذاتًا أو صفةً، مادياً أو مجرداً.. إلخ.

حتى الأعمال - والنيات والعزيمات - التي يقوم بها الإنسان، هي أمور وجودية حقيقية لا اعتبارية؛ أي: إن لها وجوداً حادثاً في خزائن ملكه مركباً من مادة وصورة.

فإن^(٢) كانت من جهة الامتثال لأمره:

أي: من الأعمال الصالحة، تركيبت من مادة أمره - سبحانه وتعالى - ومن صورة عمل المكلف.. فإذا فعل زيد الطاعة خلق الله - سبحانه وتعالى - له مادة الحورية أو القصر التي هي جزاء عمله من مادة أمره، وخلق صورتها من عمل زيد.

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٢٠٧.

(٢) هذه النقطة هي المراد من كيفية تجسم العمل كما سيأتي في المطالب القادمة.

وإذا كانت من جهة المخالفة لأمره :

أي : من الأعمال الطالحة ، تركبت من مادة نهيه - سبحانه وتعالى -
ومن صورة عمل المكلف .. فإذا فعل زيد المعصية خلق الله - سبحانه
وتعالى - له مادة النار أو العذاب الأليم من مادة نهيه ، وخلق صورتها
من عمله^(١) .

والدليل على الوجود الحقيقي - لا الاعتباري - للأعمال :

١- من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .
وقوله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
سَوْءٍ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾^(٤) .

٢- ومن السنة :

قول الرسول الأعظم محمد ﷺ لمن طلب أن يعظه : « لا بد لك يا

قيس من قرين يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وأنت ميت ، فإن كان

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٤٠٥ .

(٢) سورة التوبة : (١٠٥) .

(٣) سورة آل عمران : (٣٠) .

(٤) سورة الزلزلة : (٦) .

كريمياً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ، لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه ، ولا تسأل إلا عنه ، ولا تبعث إلا معه ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه إن كان صالحاً لم تستأنس إلا به ، وإن كان فاحشاً لا تستوحش إلا منه ؛ وهو عمك»^(١) .

٣- ومن العقل :

فإن العقل يحكم من خلال الآثار المترتبة على العمل بوجود مؤثر موجود لها ؛ وإلا لما تم التوصل إلى آثاره^(٢) .

فالاسم يدل على المسمى ، والصفة تدل على الموصوف ، والآخر يدل على وجود المؤثر وإن كان غير ظاهر في زمن دلالة الكلام لأسباب ، كما في حكم الشخص الجالس في بيته على وجود قرص الشمس من خلال رؤية نفاذ أشعته من النافذة ، وفي حكمه على وجود النار البعيدة من رؤية دخانها المتصاعد .

وقد يقال : إذا كانت الأعمال أموراً وجودية ليست باعتبارية فلماذا لا تُرى؟

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٦٨ ص ١٧٠ ب ٦٤ / الاجتهاد والحث على العمل ح ١ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٤٨ . ٢٥٢ .

فالمسمى أو الموصوف أو المؤثر يمكن رؤيته لو تغيرت جهة اعتبار الرؤية مثلاً ، كما لو كان نظر الناظر إلى الأشعة من خارج المنزل بدلاً من داخله .. فهنا يمكنه أن يرى الأثر (الأشعة) والمؤثر (الشمس) أيضاً! فنقول :

إن السر في عدم رؤية تجليات أو ظهورات الأعمال على حقيقتها في عالم الدنيا هو :

١- ليس كل شيء موجود نستطيع إدراكه بحاسة البصر العنصرية الكثيفة ؛ أي : نستطيع رؤيته .

فالله - سبحانه وتعالى - شيء موجود ؛ ولكن لا يمكن رؤية حقيقته ، وإدراك وجوده الحق ممكن بالآيات الأفاقية والأنفسية ، أو بالمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، أو قل : بالوصف الذي وصفه به نفسه لمعرفته على لسان أوليائه ، وبأوليائه أنفسهم^(١) .

فأما إدراكه بالآيات وبالمقامات وبالوصف التي هي حقائق الإيمان ، فقد روي عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ،

(١) نجة الهالكين - العلامة الشيخ محمد آل أبي خمسين : ص ٢٤٨ .

عن عبد الله بن سنان ، عن أبيه قال : حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له : يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟
 «قال : الله تعالى .

قال : رأيته؟

قال : بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ؛ ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس ، موصوف بالآيات ، معروف بالعلامات ، لا يجور في حكمه ، ذلك الله ، لا إله إلا هو .

قال : فخرج الرجل وهو يقول : "الله أعلم حيث يجعل رسالته" ^(١) .

وأما إدراكه بأوليائه أنفسهم ، فإن وجود رسله الداعين إلى معرفته وعبادته خير دليل على وجوده ؛ خصوصاً أنه قد قرن طاعته بطاعتهم ، وجعلهم حججه ، ومحل تجليات فعله ^(٢) .

فقد قال أبو عبد الله عليه السلام - لابن أبي يعفور - : «إن الله واحد متوحد بالوحدانية ، متفرد بأمره ، فخلق خلقاً فقد رهم لذلك الأمر ، فنحن هم

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ٩٧ ك/ التوحيد ب/ في إبطال الرؤية ح ٥ .

(٢) شرح الزيارة الجامعة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٨٨-٢٨٩ .

يا بن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده، وخزانه على علمه،
والقائمون بذلك»^(١).

وقال أيضاً عليه السلام: «الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها،
ولولاهم ما عرف الله عليه السلام، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على
خلقه»^(٢).

ومثال آخر على نكتة هذا المقام..

الكهرباء شيء موجود ولكننا لا ندركه إلا بالآثار؛ فحينما نضئ
المصباح نتيقن بأن هناك كهرباء بالرغم من أنه لا يمكننا رؤية حقيقة
ذاتها. والهواء كذلك شيء موجود ولكننا لا نراه، وأيقنا بوجوده لما
رأينا حاجة العديد من الأشياء في وجودها إليه.

وحقيقة وجود الأعمال هي كذلك من جهة ما تقتضيه من
التأثيرات..

فحينما يقوم الإنسان بعمل معين قد لا يرى حقيقة ذات العمل،
ولكنه يرى أو تُرى آثار ثوابه وعقابه على النفس، وعلى نفوس

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ص ١٩٣ ك/ الحجة ب/ أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه ح ٥.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ص ١٩٤ ك/ الحجة ب/ أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله في أرضه.. ح ٢.

الآخرين كذلك ؛ لأن ظهور أو تجلي الأعمال يكون بالماهية المشخصة لها ؛ أي : بمثلها من صور الثواب والعقاب كما ذكرنا سابقاً.

فنرى العمل - أو نستدل على وجوده من خلال آثاره - ؛ أي : من خلال هيئات معانيه^(١) ، كما في صورة بياض الوجه مثلاً ، وانسراح الصدر وراحته ، وكغير ذلك كظهور البركات والخصب والرخاء إذا كان صالحاً ، وفي صورة اسوداد الوجهة مثلاً ، وغلظة الصدر ، وكغير ذلك كقلة البركات والغلاء إذا كان سيئاً طالحاً^(٢).

وكل هذه الآثار تعد دليلاً كافياً على وجود مؤثر لها متحقق وجوداً لا اعتباراً ؛ لأن وجودية المعلول متلازمة مع وجودية علته ، فلا يمكن للأشعة أن توجد من دون علتها الشمس ، ولا يمكن للدخان أن يوجد من دون علته النار.

٢- هناك تجسد ملكوتي أو برزخي للعمل ولكن لا يمكن رؤيته إلا في حالات معينة :

كحالة تغير ذات الناظر لها ، كما في حالة ذوات الأئمة عليهم السلام ، فإنهم لصفاء ذواتهم يستطيعون رؤية كل شيء على حقيقته.

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٣٩٠.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١٠٢.

أو في حالة تغير جهته ، كما لو واطب الإنسان على محاسبة نفسه ووصل إلى مرتبة اللطافة ، كحالة الأولياء والصالحين الذين كشفوا الغواشي الدنيوية بإماتة أنفسهم ؛ فصارت لديهم القابلية في مشاهدة الأحوال^(١) .

أو كما في الحالة التي قبل الموت (ساعة الاحتضار) حينما يكشف للإنسان أغطية الحجب - بقدر مقامه وقابليته - فيرى شخوص كل شيء متمثلاً أمامه وعلى حقيقته^(٢) .

كما قال تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾^(٣) .

وقال عليه السلام : «إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله .

فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إنني كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول : خذ مني كفنك . فيلتفت إلى ولده فيقول : والله إنني كنت لكم محباً ، وإنني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون : نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها . فيلتفت إلى عمله فيقول :

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١١٩-١٢٠ .

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١٠٤-١٠٥ .

(٣) سورة ق : (٢٢) .

والله إنني كنت فيك لزاهداً وإن كنت علي لثقيلاً فماذا عندك؟ فيقول :
 أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك .
 فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً ، وأحسنهم منظراً ،
 وأحسنهم ريشاً ، فقال : أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ، ومقدمك خير
 مقدم . فيقول له : من أنت؟ فيقول : أنا عمك الصالح ارتحل من الدنيا
 إلى الجنة ..

وإن كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح من خلق الله زياً ورؤياً ، وأنتنه
 ريحاً ، فيقول له : أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم»^(١) .

٣- أن الحقيقة الوجودية الحادثة تختلف صور ظهورها في كل نشأة
 بحسب المشخصات والمقتضيات والأسباب وغير ذلك^(٢) .
 فمثلاً :

لحقيقة الملاك جبرائيل صورة ملائكية في عالم الغيب ؛ ولكن إذا
 نزل إلى النشأة الدنياوية اقتضى ظهورها بطور الصورة البشرية كصورة
 دحية الكلبي .

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٣ ص ٢٣٢ ك/ الجنائز ب/ أن الميت يمثل له ماله وولد وعمله قبل موته ح ١ .

(٢) رسالة في جواب الميرزا حسن الهندي الدهلوي العظيم آبادي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ٤

ولحقيقة الحجر الأسود الذي كان ملكاً أبيضَ وكّل بتسجيل إقرار المخلوقات بالولاية لهم - صلوات الله وسلامه عليهم - صورة في عالم الذر؛ ولما أنزله الله - سبحانه وتعالى - في هذه النشأة الدنيوية أخذ صورة الحجرية لمقتضى الحكمة^(١).

ولحقيقة العلم في عالم اليقظة صورة، هي عبارة عن مجموع المعاني التصورية والتصديقية^(٢)، أما في عالم المنام فلها - مثلاً - صورة اللب^(٣).

ولحقيقة الموت في عالم اليقظة صورة معينة تدركها النفس بمخيلتها حينما تشاهد مصداقه في الأهل والأقرباء وغيرهم؛ ولكن في عالم المنام يظهر الموت - مثلاً - بصورة اللحم الطري^(٤)، وفي عالم الآخرة يظهر بصورة الكبش الأملح^(٥).

وما دامت الأعمال حقائق وجودية حادثة فإن لها أيضاً صوراً مختلفة.

(١) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٩ ص ٣٢٩.

(٢) المنطق - الشيخ محمد رضا المظفر: ص ٧.

(٣) الرسالة الرشتية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٩ ص ٩١.

(٤) كشكول الشيخ الأحسائي: ص ٤٣١.

(٥) رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٤٢٤.

أي: إن لوجودها في عالم الملكوت صوراً مقدارية، ولوجودها في عالم الملك صوراً تدركها النفوس بقواها النفسانية والخيالية، وبعضها بقواها الطبيعية كما مر في حالة الأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين، ولوجودها الأخرى صوراً كما سيأتي لاحقاً^(١).

٤- هناك صور لبعض المخلوقات سترها الله - سبحانه وتعالى - عن أعين الناس في النشأة الدنيوية لعدم احتمال رؤيتها من قبل العديد منهم؛ كصور الملائكة، وصور الجن^(٢)، وغيرهما.

وصور الأعمال هي كذلك، فمنها صور لا يحتمل الكثير رؤيتها لو ظهرت بحقيقتها على العامل لها؛ كصورة الزاني، وصورة النمام، وصورة آكل المال الحرام - كما سيأتي -؛ فأخفاها - سبحانه وتعالى - ليستقيم النظام وتجري الحياة على طبيعة المقتضى في هذه النشأة؛ ولذا قال تعالى: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(٣).^(٤)

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٥٧.

(٢) الرسالة الجنية "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ٤ ص ٤٩٧.

(٣) سورة طه: (١٥).

(٤) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٨٥ - ٨٦.

٥- لصورة العمل ارتباط وثيق بمادة الإنسان، وحتى يتم العدل الإلهي منه - سبحانه وتعالى - اقتضت حكمته ظهور جميع البشر - بغض النظر عن المسوخ - ظاهراً بالصورة الإنسانية في هذه النشأة الدنيوية، وإخفاء الصورة الباطنية المتعلقة بحقيقة العمل؛ وذلك لإقامة الحجة البالغة عليهم بوحدة الصورة الإنسانية بين الأخيار والفجار - كما سيأتي في المطلب القادم..

المطلب الثالث: علاقة التكليف بالمادة والصورة

ذكرنا سابقاً: أن كل شيء قيل الوجود تركيب - أو تكون - من مادة وصورة، أو وجود وماهية كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)، أو نور ورحمة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خلق الإنسان: «يا سليمان إن الله خلق المؤمن من نوره، وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة، وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه»^(٢).

فالشيء الحادث أو الممكن يستحيل كونه بدونهما؛ أي: من دون حصة وجوده، ومن دون حصة تميزه وتشخصه وتمايمه، أو قل: من دون هيئته الانفعالية المركبة من المشخصات الستة: الكم، والكيف، والوقت، والمكان، والجهة، والرتبة^(٣).

(١) سورة الذاريات: (٤٩).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٧٣ ب ٢/ أن المؤمن ينظر بنور الله... ح ١.

(٣) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٣٠.

والسبب في تلازمهما كتلازم الكسر بالانكسار؛ لأن المادة مفتقرة في ظهورها وتشخصها إلى محل أو مشخص يشخصها وهو الصورة، ولأن الصورة لا يمكنها أن تنوجد أو تتحقق إلا بالمادة^(١).

ولذا قالوا: إن الأصالة لهما معاً (للمادة والصورة)؛ غير أن المادة جعلت بالفعل أولاً وبالذات، والصورة التي تمثل انفعال المادة جعلت ثانياً وبالعرض يجعل خاص بها من جعل المادة^(٢)، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٣).

فالصورة هي أثر الوجود وصفته، والمادة هي أثر الفعل وصفته، والفعل هو أثر الفاعل وصفته.

ومما لا شك فيه أن جريان فعله - سبحانه وتعالى - في مفعولاته قد تم بحسب مقتضى قوابلها حينما سأله بلسان استعدادها، لا بحسب مقتضى فعله؛ وإلا لكان الخلق شيئاً واحداً لا تعدد فيه؛ لأن فعله الذي أحدثه لا من شيء كان قبله واحد، ومقتضاه واحد^(٤).

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٣٢١.

(٢) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٥٠٦.

(٣) سورة النساء: (١).

(٤) رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٠٧.

فقوابل المخلوقات تعددت بناء على علة التكوين الذي هو التكليف ؛ لأنه - التكليف - بجميع حيثياته وأوضاعه وهيئاته ملازم لقابلية إيجاد الممكن حينما قَبِلَ الوجود ؛ فهو شرط الإيجاد ، ومن لم يكلف لم يوجد ، وما دام الشيء موجوداً فهو مكلفاً^(١) .

وأما بالنسبة لقولنا : (من لم يكلف لم يوجد)

فزيد بذلك : قابليته للشرع الإيجادي الذي يراد (منه الإيجاد على مقتضى الحكمة)^(٢) ؛ وهو إحداث المخلوق على ما هو عليه بحسب لسان استعداده حينما قَبِلَ الوجود ؛ أي : خَلَقَهُ على مقتضى هيئة قبوله .

فمن قَبِلَ الأمر خلق الله - سبحانه وتعالى - مادته وصورته المحمولة له من إجابته من بحر الطاعة - عليين - ، ومن أنكر الأمر خلق الله - سبحانه وتعالى - مادته وصورته المحمولة له من إنكاره من بحر المعصية - سجين -^(٣) .

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٨١ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٨١ .

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٨٢٨١ .

فمادة الشيء وصورته تكونا من سنخ جهة انفعاله أو قبوله للتكليف؛ لأن حكم الصورة من حكم المادة ومعه^(١).
بمعنى آخر..

إن الأحكام وإن كانت لاحقة للماهيات^(٢) - أي: للصور - كما في مصداق قول الرسول ﷺ: «السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه»^(٣)، فالمراد بالأُم هنا الصورة الشخصية التي لحقت بالمكلف بحسب مقتضى قبوله للإجابة أو الإنكار؛ إلا أنه (لا بُدَّ أن تكون الأحكام المعلقة على الصورة المترتبة عليها منوطة بالمواد)^(٤).
وعلى ذلك..

فحكم السعادة والشقاء وإن تعلقا بالصورة ابتداءً إلا أن المادة المعرأة تأثرت أيضاً بما انصبغت به - الصورة - من جهة قبولها أو إنكارها للتكليف؛ ف(خصوص الصورة لا تغير حقائق المواد ما لم تتغير المواد بتغير الصور)^(٥).

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٣٤.

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٢ ص ١٤٧٨.

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠٨.

(٥) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٤٠.

وأما بالنسبة لقولنا : (وما دام الشيء موجوداً فهو مكلفاً) فنريد بذلك : قابلية الإيجاد الشرعي ، الذي يراد منه (إيجاد مقتضى العمل المأمور به ، والمنهي عنه)^(١) ؛ لأن (المخلوق لا يخلو من تنعم أو تألم ما دام موجوداً)^(٢) .

فكما أن إيجاد الشيء أو المكلف توقف على التكليف ، فكذلك استحقاقه لخيرات الوجود الموصلة إلى السعادة الأبدية ومنعه منها أو خذلانه ؛ متوقف على تكليفه الذي هو حقيقة عمله بما يكون سبباً لذلك الاستحقاق أو المنع .

إذ لو لم يكلف لم يستحق شيئاً ، ولو أعطي أو منع من دون عمل لكان ذلك عبثاً ، وهو ممتنع في حق الواجب سبحانه وتعالى في الحكمة^(٣) .

وما دامت الأعمال هي صفات أو صور الثواب والعقاب^(٤) فإن طرف إقباله وإدباره مربوط بمقتضى جهة قبوله ، فمن قبل - أي : عمل - الخير بالأعمال الطيبة والاعتقادات الصحيحة استحق صور الطاعة من

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٨١ .

(٢) رسالة في جواب السيد محمد بن السيد أبي الفتوح "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١٠ ص ٤١٨ .

(٣) حياة النفس - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٥ .

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٤١٤ .

منشأة السعادة، ومن قَبِل الشر بالأعمال الطالحة والاعتقادات المجتثة استحق صور المعصية من منشأ الشقاوة.

ولا شك أن حكم العمل في دار الدنيا وإن كان يلازم الصورة لا المادة ابتداءً إلا أن المادة هي من توصف به - أيضاً - في نهاية واقع الأمر^(١)؛ لأن تشخص الصورة يؤثر في طبيعة المادة^(٢).

فالحكم إذاً وإن تعلق بالصورة ابتداءً إلا أن المثاب (والمعقاب هو المنصبغ لا الصبغ الذي هو الصورة)^(٣)؛ أي: العامل للعمل. وعلى ذلك..

فالعامل هو المتصور بصورة عمله، فإذا قعد زيد تصور بصورة القاعد، وإذا قام تصور بصورة القائم، وإذا عمل الطاعة تصور بالصورة الحسنة، وإذا عمل المعصية تصور بالصورة السيئة وهكذا.

وهذا هو مصداق قول الرسول ﷺ في خطبته لشهر رمضان: «وأنفسكم مرهونة بأعمالكم»^(٤).

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠٧.

(٢) رسالة في جواب الشيخ علي ابن الشيخ أحمد القطيفي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٥٧٠.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠٧.

(٤) الأمالي - الشيخ الصدوق: ص ١٥٣ المجلس ٢٠ / خطبة رسول الله ﷺ في شهر رمضان ح ٤/١٤٩.

فإن كان المراد بالنفس هنا: النفس الحقيقية؛ أي: المادة^(١) ثبت المطلوب، وهو أن العمل هو من يصف المادة في نهاية الأمر. وإن كان المراد بالنفس هنا الصورة؛ فالصورة هي من تشخص المادة - كما قلنا مراراً -، وعلى ذلك ثبت أيضاً مطلوب الاستدلال الذي نريد الوصول إليه.

ومثال ذلك من وجه آخر..

لو نزا كلب على شاة فأولدها، فحكم الحصة الحيوانية - أي: حكم مادة المولود - تكون بما ظهرت من الصورة المنصبغة بها؛ فلو ظهرت صورة المولود على صورة الكلب حُرْمُ أكله، ولو ظهرت صورته على صورة الشاة حُلُّ أكله.

وكذلك لو جامع رجل امرأة فأولدها، فحكم المولود يكون أيضاً بما ظهر من صورة عقد النكاح؛ فلو كانت صورة العقد صحيحة حكم على الابن المتولد منهما بأنه ابن حلال، ولو كانت صورة العقد محرمة حكم على الابن بأنه ابن زنى.

وكذلك مادة الخشب الخام قبل أن يحيل عليها النجار صورة معينة بعمله فهي صالحة لأن تكون حسنة أو خبيثة، فلو أخرجها عمل النجار

(١) الرسالة الخرسانية - الشيخ محمد بن أبي خمسين: ص ٨٥.

على هيئة الصنم أصبح وصف المادة خيبثاً، ولو أخرجها على هيئة المنبر أصبح وصفها حسناً.

وهكذا هو الأمر في تحقق كل شيء في عالم الإمكان^(١).

فالعلاقة بين المادة والصورة والعمل علاقة تلازم^(٢).

أي: إن فيض المدد الحاصل للصور الحسنة من عليين، أو للصورة السيئة من سجين مرهون بحسب امثاله ومخالفته لأمر الله - سبحانه وتعالى - ونهيه.. وجريان المادة في ظهورها متوقف على الصورة لأنها من يشخصها.

فينتج من هذا القياس: أن العمل هو الذي يصف المادة بالحسن أو

القبح.

فالأمر في ارتباط مادة المكلف بقابلية الإيجادي الشرعي المترتبة على عمله، هي حرف بحرف كما في ارتباط مادة وجوده بقابلية الشرع الإيجادي في أصل تكليفه^(٣).

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٨٤٨٣.

(٢) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١٠

أي : (فكما أن مادته، أي : وجوده - حملته إليه كن ، فكان منه ومن ماهيته، وهي قبوله ؛ كذلك المدلول عليه بقوله : (فيكون)، كذلك خلق ثواب عمله الصالح من مادته التي حملها إليه (صل) و (زك) وما أشبههما)^(١) .
وعلى أي حال ..

هنا نقطة هامة نود ذكرها وهي :

إن المادة والصورة اللذين يلازمان التكليف الأولي في الشرع الإيجادي ، أو العمل الديني في الإيجاد الشرعي ؛ هما الحقيقة الأصلية للإنسان ؛ أي : المعنى (المادة) المنتزل من العقل الكلي ، والنفس (الصورة) الجوهرية المنتزلة من النفس الكلية^(٢) .

لأنه - كما سيأتي لاحقاً - هناك أجسام وأجساد عرضية تلحق بالأصل من أعرض كل عالم يمر فيه الإنسان في قوس نزوله جعلها الله - سبحانه وتعالى - فيه من أجل أن تتم له الجامعية والكمالية^(٣) .

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٨٢ .

(٢) رسالة في جواب الملا مهدي الرشتي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ١٣ ص ٣٦١ .

(٣) رسالة في جواب الميرزا حسن الهندي الدهلوي العظيم آبادي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ٤

وهذه بمثابة الثوب الذي يلبسه ليستفاد منه في العالم الذي نزل فيه ، ويخلعه بمجرد أن يرحل عنه ؛ فلا يتعلق بها صورة الثوب أو العقاب .. وإن أطلق على مادته باسم صورتها.

كما في أطوار الإنسان من النطفة إلى الولادة الدنيوية ؛ فإنه وإن أطلق عليه نطفة في عالم النطف إلا أن الصورة النطفية التي تلبسها حقيقته الأصلية صورة عرضية ليست منه ؛ لأنه إذا ارتحل عن عالمها إلى عالم العلقه خلعها ولبس صورة العلقه الملائمة للعالم الجديد الذي نزل فيه ، ولو كانت من أصل ذاته للازمته على الدوام ؛ وهكذا إلى الولادة هو يلبس صورة ويخلع صورة في عالم الأرحام^(١) .
وكذلك الأمر في حياته الدنيوية أيضاً..

هو يلبس صورة عنصرية كصورة الطفل ويخلعها ، ويلبس صورة الصبي ويخلعها ، ويلبس صورة الشباب ويخلع ؛ لأنها من عرض هذا العالم لا من أصل حقيقة ذاته.

وإذا كان أمره قائماً على هذا الأساس منذ نزوله من عالم الملكوت وحتى وصوله وبقائه في عالم الملك ، ومن ثم صعوده منه ، هو في لبس وخلع للإعراض ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ

(١) إحقاق الحق - الميرزا موسى الخائري الإحقاقي : ص ٧٣ .

مَنْ خَلَقَ جَدِيدًا^(١)؛ فلا بد أَلَّا يتعلق العمل بالعرض منه؛ بل بالذات الأصلية؛ أي: بالصورة الأصلية، وما يجري من تأثير على المادة بمقتضاها^(٢)، وإلا لوجب أَلَّا يكون هناك عقاب أو ثواب بسبب التجدد والانصرام الحادث له في كل آن^(٣).

فلو أذنب إنسان ما في حال الشباب مثلاً ثم ذهب صورة الشباب وجاءت صورة المشيب عليه؛ للزم أن يذهب ذلك الذنب مع الصورة الذاهبة.. إلا أن الأمر ليس كذلك؛ لأنه مرتبط بالصورة الحقيقية لا بالصورة العرضية التي يلبسها لتستكمل بها نفسه.

ومن أجل أن نفهم حقيقة علاقة المادة والصورة والعمل بشيء من التفصيل يجب علينا العودة إلى ما حدث قبل هذا العالم؛ أي: العودة إلى مرحلة إبداع الأشياء (خلق الخلق) لإدراك حقائقها التي تبدو عليها حينما ألقى عليها التكليف، ومن ثم ننظر في مراتب تنزلها إلى أن تصل إلى النشأة الدنيوية، وبعد ذلك ننظر في كيفية تأثير العمل عليها، ومن ثم في كيفية حشر العامل بصورة عمله في النشأة الأخروية.

(١) سورة ق: (١٥).

(٢) رسالة كشف حق اليقين "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ٨ ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) إحقاق الحق - الميرزا موسى الإحقاقي: ص ٥٧.

الفصل الثاني

وفيه مطلبان :

الأول: كيفية خلق الخلق

الثاني: تنزل النفس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة

المطلب الأول: كيفية خلق الخلق

حينما ندير النظر نحو أنفسنا، ونحو الأشياء من حولنا، ونرى مدى فقرها واحتياجها، وعدم مالكيتها للنفع أو الضر لذاتها؛ تتأكد لدينا حينئذٍ عدة أمور يقينية، ومنها:

١- أننا لم نخلق أنفسنا

وعلى ذلك يبطل ما اشتهر بين القوم من أن الحادث ممكن الوجود لذاته^(١)؛ لأن الأمر الذي لا يختلف عليه اثنان من أهل البحث والنظر، هو أن الغني المطلق هو الله - سبحانه وتعالى -، وما جرى الاختلاف إلا في المحتاج الحادث الذي أحدثه بفعله^(٢).

ونحن نسأل: هل إمكان هذا الحادث بذاته أم بالغير؟

فإذا كان إمكانه بذاته فلما احتاج في وجوده إلى الإحداث من قبل

الغير.. وعليه سمي حادثاً؟

(١) المنطق - الشيخ محمد رضا المظفر: ص ١١٥.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٧٦.

وإذا كان إمكانه بذاته ؛ أليس من المفترض أن يكون مستغنياً عن
الاحتياج إلى المدد من غيره في كل آن؟

فيقينية احتياجه من هذه الجهات تؤكدان بطلان المشهور^(١) ، وثبتت
أن إمكان الحادث بالغير ، وليس بالذات كما قد توهم .

٢- أن الذي خلقنا حتماً ليس شيئاً مثلنا

وعلى ذلك .. فإن جميع ما نحمله من الصفات والأوصاف
والأحوال وغيرها منتفية عنه قطعاً .

فلا يمكن وصف خالقنا بوصف ، ولا تكييفه بكيف ، ولا حده
بحد ، ولا إدراكه أو ذكره بأي شيء من الشخصيات التي تجعل من
وجوده الحق - سبحانه وتعالى - وجوداً ممكناً كوجودنا^(٢) ، وهذا هو
مصدق قول أمير المؤمنين عليه السلام : « ما يجب في الخلق يمتنع من الحق ، وما
وجب في الحق يمتنع في الخلق »^(٣) .

إذا فهتم مختصر ذلك ..

فأود طرح السؤال التالي :

(١) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي : ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٩ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٨ .

(٣) الخطبة البيّمة ، محفوظة في المكتبة الوطنية في طهران ، ضمن مجموعة رسائل رقم : (٤٧٤٤) .

إذا لم يكن هنا إلا وجوديين مختلفين عن بعضهما البعض :
 الأول : وجود الخالق (الواجب) ، والثاني : وجود المخلوق
 (الممكن) ، كما قال الإمام الرضا عليه السلام : « وإنما هو الله عز وجل وخلقه ، لا
 ثالث بينهما »^(١) .. فكيف خلقنا ؟

الجواب :

أولاً : تعتبر مسألة كيفية خلق الخلق من أمهات المسائل الفكرية
 التي دار حولها نقاش طويل في ساحة الأبحاث على مر التاريخ ، ومن
 المؤكد أننا في غنى عن ذكر تفاصيل نكاتها في طيات هذا البحث ، فأمر
 ذلك موكل للمطولات لمن أراد .

وحتى ما سيتم تقديمه حول هذه المسألة في ضوء منهج المدرسة
 التكاملية لن يكون مفصلاً من جميع الجهات والحشيات ؛ بل مقتضباً
 ووافياً لحاجة المقام فقط .. لبعد ذلك عن نطاق قابليتنا ، ولحاجته إلى
 جهد مضمّن لا يتسنى لنا الحصول عليه حالياً .

ثانياً : مع أن معرفة العوالم الإلهية وإدراك كيفية تنزل النفس
 الإنسانية من عالم الغيب إلى عالم الشهادة هو من أفضل الطرق لمعرفة

(١) التوحيد - الشيخ الصدوق : ص ٤٣٨ ب ٦٥ / ذكر مجلس الرضا بيانه في علة إرادته تعالى بالبعد سوءاً ح ١ .

كيفية خلق الخلق إلا أن هذا الطريق متشعب جداً، وله جهات عديدة في حين الذكر لا يمكن حصرها بعدد، وإن تم حصرها في بعض المواضع أحياناً فذلك الحصر كلي لا جزئي، وعادة ما يؤخذ فيه ناحية معينة، أو يكون النظر فيها متجهاً إلى جهة ما^(١).

فمثلاً: لو نظرنا إلى البروز والخفاء، فهناك عالمان: عالم الغيب، وعالم الشهادة.

ولو نظرنا إلى مفهوم الوجود، فهناك ثلاثة عوالم: عالم الوجود، وعالم الرجحان، وعالم الجواز. وإن قلت: عالم الأزل، وعالم الأمر، وعالم المفعول فهي كذلك، وإن قلت: عالم الوجود الحق، وعالم الوجود المطلق، وعالم الوجود المقيّد فهي كذلك أيضاً^(٢).

ولو نظرنا إلى أصول الخلق فهناك أربعة عوالم: عالم الخلق، عالم الرزق، عالم الموت، عالم الحياة^(٣).. إلخ. وهكذا هو الأمر يطول في ذلك..

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٩٨.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١١٠-١١١.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٢.

ولذا من الواجب اختيار ناحية معينة لنفهم منها كيفية خلق الخلق؛ فجعلنا ناحية الأوقات الإلهية^(١) الركيزة الأولى في بيان هذا المطلب.

تقسم الأوقات الإلهية في الحكمة إلى^(٢):

١. الأزل

لا يقصد بالأزل التحديد، بمعنى الظرفية المكانية أو الزمانية؛ أي: أن للخالق ظرفاً حال فيه، أو زماناً منصرماً يجري عليه، بل هو والأزل شيء واحد وإلا لتعددت القدماء.

وما الإشارة إليه بذلك إلا للتفهم، كالإشارة إلى أسمائه وصفاته التي تقتضي جهة العنوان فقط لا جهة الذات؛ أي: جهة الدليل عليه^(٣).

ولا يعرف من الأزل شيئاً بتاتاً؛ لأنه - سبحانه وتعالى - لم ينزل من رتبة أزله، ولم يصعد له شيء من رتب ممكناته.

(١) الرسالة الوعائية - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٢٤.

(٢) الرسالة الوعائية - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٣٥-٢٤.

(٣) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٤.

حتى الوصف الذي خلقه لخلقه ليعرف به نفسه هو من جملة مخلوقاته ، موجود في رتبة إمكانه حينما أمكنه ، لا في رتبة ذاته حينما وصف به نفسه^(١) .

ولذا قال الإمام الرضا عليه السلام : « هو نفسه ونفسه هو ، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمى نفسه ، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها ؛ لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف»^(٢) .

٢. السرمد

وهو وقت مطلق الفعل ، أو عالم الأمر ، أو عالم المشيئة^(٣) ، أو عالم الحركة الإبداعية التي خلقها بنفسها ، وخلق منها كل شيء لما أحب خلق الأشياء لمعرفته^(٤) ، فقد ورد في الحديث القدسي : « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»^(٥) .

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ١١٣ ك/ التوحيد ب/ حدوث الأسماء ح ١ .

(٣) الرسالة الوعائية - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٢٧ .

(٤) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٦٤ .

(٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٨٤ ص ١٩٩ ح ٦٠ .

فإما خلقها بنفسها لبيطل التسلسل المستلزم للدور، وإما خلق منها كل شيء ؛ أي : إنه - سبحانه وتعالى - خلق كل شيء بفعله ومن فعله .
فأما بفعله ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - هو الفاعل الحقيقي ، ولكنه ليس فاعلاً بذاته بل بفعله ، فالنسبة بينه وبين خلقه منقطعة رأساً ، والنسبة بين فعله وبينهم ثابتة قطعاً^(١) .

وأما من فعله ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - ليس علة للأشياء ، بل إن المشيئة الكلية (الفعل) هي العلة التامة التي صدر منها كل شيء^(٢) ، كما قال الإمام الصادق عليه السلام : «خلق الله المشيئة بنفسها ، ثم خلق الأشياء بالمشيئة»^(٣) .

وإذا كان الفعل مخلوقاً حادثاً.. فظهوره وتشخصه لا يكون إلا بصورة .

وصورته التي يظهر فيها أو بها هي نور الحقيقة المحمدية^(٤) ، كما هو المستفاد مما ورد عنهم عليهم السلام : «نحن محال مشيئة الله»^(٥) ، «السلام

(١) المخازن - الميرزا حسن كوهر: ص ٣٤ .

(٢) شرح حديث عمران الصابي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ٤ ص ١٠١ .

(٣) الكافي - الشيخ الكليني: ص ١١٠ ك/ التوحيد ب/ الإرادة ح ٤ .

(٤) مفاتيح الأنوار - الشيخ محمد بن أبي خمسين: ج ١ ص ٣٦٧-٣٦٨ .

(٥) تفسير الصراط المستقيم - السيد حسين البروجردي: ج ٥ ص ٣٧٢ .

على محال معرفة الله.. السلام على مظاهري أمر الله ونهيه»^(١)، وكما قال الإمام السجاد عليه السلام - في حديث طويل لجابر -: «اخترعنا من نور ذاته، وفوض إلينا أمور عبادته. فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلنا الله عز وجل هذا المحل، واصطفانا من بين عبادته، وجعلنا حجته في بلاده»^(٢).

فهم - صلوات الله عليهم - في هذا العالم محل فعله، والمظهرين لأمره ونهيه، ولحقيقتهم معنى جميع ما يحويه المقام من إطلاقات؛ ككونهم المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، والوجه، واليد، وغير ذلك^(٣).

كما قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «نحن حجة الله في عبادته، وشهادته على خلقه، وأماؤه على وحيه، وخزانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه، وعينه في بريته، ولسانه الناطق، وبابه الذي يدل عليه»^(٤).

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٤ ص ٥٧٩ أبواب الزيارات ب/ فضل الزيارات وثوابها ح ٢.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٦ ص ١٤ ب ١٣ / نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية ح ٢.

(٣) نجاة الهالكين - الشيخ محمد أبو خمسين: ص ٣٦١.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٦ ص ٢٦١ ب ٥ / جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام ح ٣٩.

فإذا سمعت في رواياتهم شيئاً من ذلك لا يرتاع لك بال ؛ لأن المقصود منه هو أعلى مقاماتهم - صلوات الله عليهم - في عالم الأمر^(١) .
وعلى ذلك ..

فعالم الأزل لم يخرج منه شيء ، ولم يصعد إليه شيء ؛ لأنه - سبحانه وتعالى - أحد صمد لم يلد ولم يولد ، وعالم السرمد (عالم المشيئة الكلية) فنور الحقيقة المحمدية هو محله أو صورته^(٢) .

وأما جميع حقائق المخلوقات فليس لها أي ارتباط بالعالم الأول (عالم الأزل) ، وكذلك ليس لها أي ارتباط بالعالم الثاني غير الصدور ؛ أي : إنها ليست فيه ، بل هي صادرة من شعاع نور حقيقته^(٣) .

٣. الدهر

وهو وقت عالم المجردات^(٤) .

(١) رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقي السمناني "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٨١ .

(٣) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٥٥ .

(٤) الرسالة الوعائية - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٣٠ .

أوله : لعالم الجبروت ، أو المعاني ، أو العقول المجردة عن الصورة مطلقاً ، الذي ظهرت فيه مشيئته - سبحانه وتعالى - الكونية بأول ظهور بنور الحقيقة المحمدية ؛ ولذا قال عليه السلام : «أول ما خلق الله نوري»^(١) ، وقال لجابر بن عبد الله حينما سأله : أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال عليه السلام : «نور نبيك يا جابر ، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»^(٢) .
ومن نوره عليه السلام ظهرت أو تنزلت هيولى^(٤) سائر المخلوقات ، التي كان تنزل بعضها منه عليه السلام :

أ - كتزل الضوء من الضوء ، وهذا التنزل خاص بأهل بيته عليهم السلام من جهة ترتبهم الذاتي في أصل الخلق^(٥) ؛ لأن النفس الكلية ما هي إلا تنزل من العقل الكلي ، فهو عليه السلام سابق عليهم في وجوده ، وفي استضاءته أولاً من المبدأ الفياض^(٦) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١ ص ٩٧ ك/ العقل والعلم والجهل ب ٢/ حقيقة العقل .. ح ٧ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١٥ ص ٢٤ ب ١/ بدء خلقه وما جرى له في الميثاق ح ٤٣٣ .

(٣) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٥١ .

(٤) الهبولى : هو الشيء المخلوق القابل لصور لا تنتهي ، فإذا حلت به إحدى الصور سمي مادة . لشرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٤٥ . وقد أطلقنا عليه بالهبولى هنا لأنه عالم المجردات عن المادة عنصرية والمدة الزمانية ؛ أي : عالم خلق المواد الأولية للأشياء كما سيأتي .

(٥) رسالة في شرح حديث لولاك لما خلقت الأفلاك "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٧٣ .

(٦) شرح حياة الأرواح - الميرزا حسن كوهر : ص ٣٥٥ .

أي: إن نوره ﷺ خلق أولاً، ثم نور وصيه، ثم نور الإمام الحسن، ثم نور الإمام الحسين، ثم نور الإمام المهدي المنتظر، ثم أنوار باقي الأئمة عليهم السلام، وخلق نور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد خلق أنوارهم عليهم السلام؛ لأنهم مادة الولاية، وهي صورتها^(١)، وكما ذكرنا سابقاً أن جعل المادة سابق على جعل الصورة.

أما من جهة احتياج الخلق إليهم في أركان الوجود الأربعة فإن حقيقتهم واحدة بسيطة؛ لأنها أثر البسيط - أي: أثر الفعل - فوجب أن تكون بسيطة^(٢)، وهو مفاد قول أبي عبدالله عليه السلام: «نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربنا عز وجل في مبتدأ خلقنا، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد»^(٣).

ب - وبعضها كتزل الشعاع - إذا لوحظ أن نوره ﷺ هو النور الذي تنورت منه جميع الأشياء، أو إذا لوحظ أن حقيقتهم - صلوات الله عليهم - من جهة أنها نور واحد - لا تنزل الحقيقة؛ كهيولى الأنبياء؛ لأنهم لا يسبقهم سابق ولا يصل إلى رتبهم أي مخلوق آخر غيرهم.

(١) خصائص الرسول الأعظم والبضعة الطاهرة - السيد كاظم الرشتي: ص ٦٥.

(٢) الرسالة السلطانية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٣١٧، ٣١٨.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٥ ص ٣٦٣ ب ١٢/ أنه جرى لهم من الفضل... ح ٢٣.

ج - وبعضها كتزل الشعاع بالشعاع ؛ كهيولى مؤمني الأنس .
 د - وبعضها كتزل الشعاع بالشعاع بالشعاع ؛ كهيولى مؤمني الجن .
 وهكذا تنزل الأشعة من ربتهم - صلوات الله عليهم - لباقي مراتب
 الوجود المقيد.. غير أن تنزل ذوات الكفار والمنافقين من أظلة
 وعكوسات أنوار كل رتبة ، فكفار الأنس تنزلوا من أظلة رتبة مؤمني
 الأنس ، وكفار الجن من أظلة رتبة مؤمني الجن ، وهكذا^(١) .
 فحقائقتهم - صلوات الله عليهم - أول آثار فعله ، أو أول الحقائق سبقاً
 في خلق الخلق^(٢) .

وهذا هو المستفاد من الروايات التي تتحدث عن بدء خلقهم ، كما
 روي عن أبي حمزة قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول :
 «إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته ،
 فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق ، يسبحون الله
 ويقدمونه ، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٣) .

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١٥٩ .

(٢) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ص ٥٣١ أبواب التاريخ ب/ فيما جاء في الاثني عشر .. ح ٦٠ .

وعن الحسين بن عبد الله ، عن محمد بن عبد الله ، عن محمد بن سنان ، عن الفضل ، عن جابر بن يزيد قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : «يا جابر إن الله أول ما خلق خلقاً محمداً وعترته الهداة المهتدين ، فكانوا أشباح نور بين يدي الله . قلت : وما الأشباح؟ قال عليه السلام : ظل النور ، أبدان نورانية بلا أرواح»^(١) .

ووسطه : لعالم الملكوت ، أو النفوس الذي ألبست فيه هيولى المخلوقات صورة جوهرية مجردة متنزلة من النفس الكلية المنزلة من العقل الكلي^(٢) .
وليكن معلوماً لديك ..

إننا حينما نقول بالتجرد في الدهر لا نقصد بذلك التجرد التام ؛ لأنه لا مجرد إلا الله - سبحانه وتعالى -^(٣) .

وإنما نريد به التجرد من المادة العنصرية والمدة الزمانية - لا من الصورة النفسية - في عالم النفوس ، وعن المدة الزمانية والمادة العنصرية

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١٥ ص ٢٥ ب ١ / بدء خلقه وما جرى له في الميثاق .. ح ٤٧ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٩٢ .

(٣) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٥٩ .

والصورة النفسية والمثالية أيضاً في عالم العقول^(١)، وهو مفاد قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٢).

وبين هذين العالمين (عالم الجبروت وعالم الملكوت) برزخ يطلق عليه بعالم الأرواح، أو عالم الرقائق الذي تم فيه زجر الأرواح من الروح الكلية بعد كسرها الأول في الماء، وتخصيصها في العقول، وبدء صوغها الأول في الأرواح، وتمام صوغها الأول في النفوس^(٣).

وأخره: لعالم الطبيعة المنزل من الطبيعة الكلية المنزلة من النفس الكلية، الذي كسرت فيه حصص مواد جميع المخلوقات، ومزج بعضها ببعض في مدة مقدارها أربع مئة سنة بعدما أخذ ميثاقهم في عالم جوهر الهباء، وأرجعوا بعد ذلك إلى الطين.

والحل أو الكسر في عالم الطبيعة هو الكسر الثاني بعد التكليف الأول وقبل التكليف الثاني في الخلق الثاني^(٤).

(لأن الأشياء لا بد لها في صنعها من كسرين وصوغين :

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) سورة الإنسان: (١).

(٣) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ١٦٧.

(٤) الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٦٠.

فالكسر الأول: في الماء الأول عند إذابته لقبول الماهية، التي تسمى بالصورة النوعية، والامتزاج؛ أي: انحلال الأجزاء، وكونها شيئاً واحداً، وتخصيصه حصصاً مبهمَةً في العقل، وأول التخلق والنمو في الروح، وتمام العقد الأول والصوغ الأول في النفس [كما قلنا سابقاً].

والكسر الثاني: في النور الأحمر، يعني: الطبيعة، والامتزاج والتخصيص في جوهر الهباء، والعقد في المثال، وهو البرزخ، وهو أول العقد والنمو، وتماهه في هذه الدنيا [كما سيأتي لاحقاً]. وإذا حل حلين وعقد عقدين تم إكسير الإجابة لدعوة الله عند التكليف^(١).

بمعنى آخر..

إن وجوه وملتقات الأشياء لما كانت مذكورة في مشيئته الإمكانية في السرمد، كانت راجحة الإمكان في صلوحها لأن تكون أي شيء^(٢). فالشيء الواحد (يجوز له أن يلبس كل صورة بلا نهاية، فيكون عقلاً، ويكون روحاً، ويكون نفساً، ويكون طبيعة، ويكون مادة، ويكون صورة، ويكون جسماً، ويكون نوراً، ويكون منيراً، ويكون

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٤٩.

(٢) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٤١.

حيواناً، وإنساناً وملكاً، ونبياً وشيطاناً، وسماء وأرضاً، وجنة وناراً، وهكذا بلا غاية ونهاية^(١).

وهذا هو سر الاختيار، إذ لولا ذلك الصلوح للزم الاضطراب^(٢). فليس في هذا الموضع سعادة أو شقاء لأنه مقام الذكر في العلم والإمكان، لا مقام الذكر في التكوين^(٣)، والسعادة والشقاء يكونان في بطن الصورة؛ أي: في مقام العين والتكوين لا في مقام الكون^(٤). ف(أفراد نوع كل رتبة تؤخذ لهم مادة معرفة عن حكمي السعادة والشقاوة، وتكون حصصاً، كل حصة قابلة للسعادة والشقاوة، وإذا دعاهم خلقوا من طينة تؤخذ إجابتهم أو إنكارهم، وهذا الخلق الثاني فيه يخلق الله المؤمن المجيب من نوره، والمنافق المنكر من الظلمة، وهو الخلق الصوري)^(٥)، وما نحن فيه هو الخلق المادي: أي: خلق مادة المداد للكتابة كما سيأتي.

(١) الرسالة الوعائية - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٢٦.

(٢) رسالة في جواب الشيخ عبدالله بن مبارك القطيفي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٩.

(٣) رسالة في جواب السيد إسماعيل "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٨ ص ٤٩.

(٤) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٥٨.

(٥) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٣٩.

ولما جعلها - سبحانه وتعالى - بمشيئته الكونية ممكنة في الدهر.

أي: أجرى عليها الشرع الإيجادي اللازم لصنع المقبول الذي قبل الوجود بمقتضى قبوله حينما سأله، فأعطى كل ما سأل بلسان حال استعداده، أو - قل - الذي قبل الإجابة أو التكليف (التوحيد) حينما عرض عليه^(١)؛ لأن من لم يكلف لم يوجد^(٢).

نشرهم بين يديه في عالم النفوس (عالم الذر الأول)، وكلفهم إجمالاً (التكليف الأول) بعد نهاية الصوغ الأول في النفوس وقبل الكسر الثاني في الطبيعة، وذلك بعدما:

١- أراهم صور طاعته وصور معصيته حتى لا يكون تكليفهم عن جهل أو إلقاء^(٣)، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٤)، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٥).

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٧.

(٢) رسالة في جواب السيد إسماعيل "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٨ ص ٤٠.

(٣) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ٢٣٦.

(٤) سورة البلد: (١٠-٩٨).

(٥) سورة الإنسان: (٣).

٢- جعل فيهم التمييز والاختيار في قبول أو إنكار إجابة داعيه ﷺ
 لما قال لهم: ألسنت بربكم؟ ومحمد نبيكم؟
 كما روي عن أبي بصير أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف
 أجابوا وهم ذر؟ قال: «جعل فيهم ما إذا سألم أجابوه، يعني في
 الميثاق»^(١).

والإجابة وإن كانت من جميع الأشياء: بلى؛ إلا أن مقاصدهم
 كانت مختلفة فيها.

فالمؤمنون قالوا: بلى، بلسانهم وقلوبهم؛ فخلقهم الله ظاهراً
 وباطناً بصور الإسلام، وهي الصورة الإنسانية النورانية؛ أي:
 الإنسانية ظاهراً، والناطقة القدسية باطناً، كما سيأتي في تخلق الصور
 الشخصية، أو الصور الباطنية أو صور الإيمان.

والكفار والمنافقون قالوا: بلى بألسنتهم حينما سألوا: ألسنت
 بربكم؟ وسكتوا حينما سألوا: ومحمد نبيكم؟ أي: توقفوا، فخلق
 ظاهرهم بصور الإسلام - الصورة الإنسانية ظاهراً، والناطقة الشيطانية
 باطناً كما سيأتي -؛ ولم يخلق بواطنهم لأنهم لم يقولوا: بلى بقلوبهم،

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ص ١٢ ك/ الإيمان والكفر ب/ فطرة الخلق على التوحيد ح ١.

وأمهلوا بعد ذلك لعالم الذر الثاني^(١) ، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى : ﴿لَمْ تَكُنْ أَمْتًا مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قَلَّ أَنْتَظِرُوا إِنََّّا مُنْتَضِرُونَ﴾^(٢) .

فخرج بعد ذلك جميع الخلائق من التكليف الأول متمايزين في ظواهرهم ، متفقين في صلوحهم النوعي .
 أي : إنهم كانوا حصص مواد متميزة غير مصورة ، صالحة لأن تلبس أي صورة شخصية في عالم الخلق الثاني بعد التكليف التفصيلي .
 - كما سيأتي .-

لأن عالم الخالق الأول هو عالم الحصة النوعية المركبة من المادة البسيطة ومن الماهية الأولى التي هي انفعال الشيء وقبوله للإيجاد ؛ أما عالم الخلق الثاني هو عالم الحصة الجزئية المركبة من المادة المأخوذة من الحصة النوعية من العالم الأول ومن الماهية أو الصورة الشخصية^(٣) ؛ ولذا قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾^(٤) .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١١٣-١١٤ .

(٢) سورة الأنعام : (١٥٨) .

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٦٨ .

(٤) سورة الأعراف : (١١) .

ومثاله.. الكاتب إذا شاء الكتابة كَوْنُ المداد أولاً، ثم أخذ منه فيصنع الكتابة، ووجود الحروف في محبرة مداده قبل أن يكتب متساوية في صلوحها لأن يكتب منها ما شاء من خير أو شر، وغير متميزة، فإذا كتب تمايز وتشخص بعضها عن بعض.

وكذلك النجار إذا شاء أن يصنع سريراً أو صنماً كون الخشب أولاً، ثم أخذ منه حصة لصنع ما يشاء. ووجود الخشب في يده قبل أن يحيل عليه ما يشاء من الصنع متساوي الصلوح، وغير متميز، فإذا أحال عليه صورة السرير تميز وتشخص في صورة الحسن من المادة، وإذا أحال عليه الصنم تميز وتشخص في صورة السيئ منها.

٤. الزمان

أو عالم الملك، أو الأجسام، أو الماديات^(١).
وقبل أن نتكلم عن هذا العالم لا بد أن نلتفت إلى نكتة هامة وهي: يوجد هناك برزخان - لم نتطرق لذكرهما سابقاً - وهما: برزخ جوهر الهباء، وبرزخ عالم المثال.

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠.

وكان من المفترض ذكر الأول (جوهر الهباء) في عالم الدهر؛ لأنه واقع في أسفله، وهو آخر عوالم المجردات^(١).

وذكر الثاني (المثال) بين عالم الدهر وبين عالم الزمان^(٢)؛ لأن طرفه الأعلى واقع في الدهر (أي: أصوله وأفلاكه)، وطرفه الأسفل واقع في الزمان (أي: عناصره)^(٣) وأرضه.

ولكن ..

بسبب الترابط العميق بينهما من ناحية الخلق الثاني؛ لأن الحصص الجزئية حصصت في جوهر الهباء، وفي عالم المثال ألبيت الصور الشخصية (الصورة الأصلية)، وكذلك لمجاراة التقسيم الذي انطوى عليه أمر هذه المطلب (الأوقات الإلهية) ليكون الأمر مفهوماً بصورة أكبر من ناحية مراتب النزول؛ قمنا بذكرها هنا بدلاً من أفرادها بحدة تحت عنوان خاصة بها.

فلا تغفل عن ذلك..

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٧٨.

(٢) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٢٧.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٩٩.

فأما في برزخ جوهر الهباء فتم فيه بداية الخلق الثاني ؛ أي : تم فيه خلق الحصص الوجود الجزئية^(١) ، أو المادة قبل تعلق الصورة بها في برزخ عالم المثال (هورقلياً)^(٢) .

وحصتها (حصّة المادة الجزئية) مأخوذة من الحصّة النوعية المتكوّنة في الخلق الأول - كما قلنا سابقاً - ، أما ماهيتها أو صورتها المشخصة لها فهي الصورة الشخصية التي لحقت بالمكلف بحسب مقتضى قبوله أو إنكاره في التكليف الشخصي التفصيلي^(٣) ؛ وذلك حينما جُمع الخلائق مرة ثانية في عالم الذر الثاني^(٤) ، وأعاد عليهم داعيه ﷻ سؤال التكليف : أَلست بربكم؟ ومحمد نبيكم؟ وعلي إمامكم ووليكم؟ فانقسمت المخلوقات إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم قالوا: بلى ، بلسانهم وقلوبهم ، فخلق ظاهرهم وباطنهم من طينة الطاعة ، وهي طينة عليين ، فهؤلاء لهم الصورة الإنسانية

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٣٠ .

(٣) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٦٠ .

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١١٤ .

الحقيقة ظاهراً، والصورة النورانية أو الناطقة القدسية باطناً، وهم المؤمنون الذين ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١).

٢- قسم قالوا: بلى، بلسانهم حينما سُئلوا: ألسنت بربكم؟ فخلق ظاهرهم بالصورة الإنسانية - كما قلنا سابقاً في التكليف الإجمالي -، ولكن هناك توقفت قلوبهم حينما سُئلوا: ومحمد نبيكم؟ وعلي إمامكم؟ فأمهلوا إلى هذا الموضوع، فلما جدد لهم الميثاق أو العهد، أنكرت قلوبهم ذلك.

وهؤلاء قسمان:

الأول: من أنكرت قلوبهم لما سُئلوا: ومحمد نبيكم؟ وهؤلاء الكفار الذين خلق ظاهرهم بالصورة الإنسانية - صورة الفطرة -، وباطنهم من طينة المعصية، طينة سجين، فلهم الصورة الناطقية الشيطانية^(٢).

الثاني: من أنكرت قلوبهم عندما سُئلوا: وعلي إمامكم ووليكم؟ وهم المنافقون الذين خلق باطنهم أيضاً من طينة المعصية كالكفار؛ لأن

(١) سورة الأحزاب: (٢٣).

(٢) شرح المشاعر- الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٠٤.

عهد الطاعة في النبوة لا يتم إلا بالإمامة، كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).^(٢)

وصور بواطن هؤلاء الحقيقية (الكفار والمنافقون) تظهر في يوم القيامة إما كلاباً أو خنازير^(٣)؛ لأن كل شيء يعود إلى ما منه بدأ؛ أي: يعود إلى أصله^(٤) كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(٥).

٣- قسم قالوا: بلى، بلسانهم، وتوقفت قلوبهم من دون أن يجحدوا، فخلق ظاهرهم في الدنيا على الصورة الإنسانية أيضاً؛ لإجابتهم بلسانهم أيضاً، وخلق باطنهم من طينة البرزخ، وهي طينة من بين الطينتين؛ أي: جزء منها من طينة عليين، وجزء منها من طينة سجين.

وهؤلاء هم المستضعفون في الأرض، أمرهم متوقف بسبب موانع طينتهم؛ فإمّا أن تضحل تلك الموانع في الحياة الدنيا باهتدائهم بسبيل

(١) سورة النساء: (٩٥).

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٣٩.

(٣) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ١٢٢.

(٤) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٦٣.

(٥) سورة الغاشية: (٢٥).

من سُبُل الهداية، وإمّا أن يقرّوا عند الموت أو في البرزخ، وأما يمهّلوا إلى يوم القيامة فيجدد لهم الخطاب بعدما تأكل الأرض الموانع المانعة من فهمهم للتكليف؛ فإن أقرّوا الحقّوا بالمؤمنين، وإن أنكروا الحقّوا بالكافرين^(١).

وكل ذلك مفاده ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الطينات ثلاث: طينة الأنبياء، والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها هم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك، لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم. وقال: طينة الناصب من حمأ مسنون. وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحول مؤمن عن إيمانه، ولا ناصب عن نصبه، والله المشيئة فيهم»^(٢).

ولا يرتاع قلبك مما قد جاء هنا.. فإنك لو نظرت إلى حال الخلائق في هذه النشأة فسوف ترى مواضع تلك المشاهد وتلك الأقسام رؤى العين أمامك؛ لأنه كما قال الإمام الرضا عليه السلام: «قد علم ذو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما ههنا»^(٣).

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٦٤ ب ٣ / طينة المؤمن وخروجه من الكافر وبالعكس.. ح ٧.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢ ص ٣١٦ ب ١٩ / مناظرات علي بن موسى الرضا عليه السلام .. ح ١.

فالتكليف الإجمالي الذي أسلم فيه من أسلم، وكفر فيه من كفر، هو واقعة دعوته ﷺ للإسلام عند ركن الكعبة. والتكليف التفصيلي الذي آمن فيه من آمن، وناقض فيه من ناقض، هو دعوته ﷺ لولاية أمير المؤمنين ﷺ وأهل بيته في غدیر خم^(١).

والمؤمنون، والكفار، والمنافقون، والمستضعفون، ومقتضيات اللطخ المؤدية إلى صدور السيئة من المؤمن والحسنة من الكافر والمنافق، وتولد الكافر أو المنافق من المؤمن والعكس.. كلها موجودة أمامك، وإن لبس الجميع الصورة الإنسانية ظاهراً لمقتضى الفطرة الأولى؛ أي: إجابة قبول التكليف أو التوحيد بألستهم. وعلى أي حال..

هناك بعض الأمور التي نود لفت النظر إليها في هذه الجزئية من البحث قبل المضي قدماً، وهي:

- ١- استفاد مما مضى إجابة السؤال التالي: لماذا خلق الله - سبحانه وتعالى - الكفار والمنافقين والمستضعفين ظاهراً بالصورة الإنسانية؟
- فيكون الجواب:

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحاد" - الشيخ أحمد الأحساني: ج ٢ ص ٥٢.

لأنهم أجابوا بألستهم بظاهر توحيدهم دون قلوبهم ؛ فُخلقوا ظاهراً بالصورة الإنسانية ؛ لأنها إجابة قبول المقبول للإيجاد.

أي : إنها صورة تكون المفعول ، وقبوله للتكوين ، الناشئة من مادة الفعل حين أعطاها فاعلها - سبحانه وتعالى - التمكين من التكون والقبول^(١).

أو - قل - هي صورة فطرة العبودية التي قال تعالى فيها : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «العبودية جوهره كنهها الربوبية»^(٣).
وروي عنهم عليهم السلام : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه»^(٤) ؛ فالفطرة : هي فطرة التوحيد^(٥) ، وأبواه : هما مادته وصورته^(٦) ، كما قال عليه السلام : «إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته ، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية ، فالمؤمن أخو

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٢٠.

(٢) سورة الروم : (٣٠).

(٣) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة - المنسوب للإمام الصادق : ب/ حقيقة العبودية ص ٥٩٧.

(٤) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ك/ الإيمان والكفر ب/ فطرة الخلق على التوحيد ص ١٣ ح ٣.

(٥) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ١٣ ك/ الإيمان والكفر ب/ كون المؤمن في صلب الكافر ح ٣.

(٦) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٠٤.

المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة، وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه»^(١).^(٢)

فجميع المخلوقات - حتى الكفار - مفطورون على فطرة التوحيد الإلهي، وإن أنكر بعضهم ذلك ظاهراً إلا أن نفوسهم مستيقنة بها، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٣).

٢- كذلك يستفاد مما مضى إجابة السؤال التالي: لماذا تجري الحسنة من الكفار والسيئة من المؤمنين؟

فيكون الجواب:

بسبب اللطخ الحاصل من امتزاج طينة الجسمين - لا طينة القلوب - في الكسر الأول.

أي: بسبب حل حصص المواد في الطبيعة.

ولذا فالكافر إذا فعل الحسنة كان قلبه كارهاً لها؛ لأنها ليست من أصله، وإذا فعل السيئة مال قلبه لها.

(١) بصائر الدرجات - الصفار: ص ١٠٠ ب ١٢ / ما أخذ الله موثيق الخلق لأنمة آل محمد بالولاية لهم ح ٢.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٢٠.

(٣) سورة النمل: (١٤).

والمؤمن إذا فعل السيئة بجسده كان قلبه كارهاً لها نادماً على فعلها، وإذا فعل الحسنة أو ذكر له مواطنها مال قلبه لها، كما يميل ويطير شوقاً حينما تذكر له أمته ﷺ^(١).

وهو مفاد ما قاله الإمام السجاد عليه السلام:

«إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين: قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفار من طينة سجين: قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة، ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه»^(٢).

وعن عثمان بن يوسف قال: أخبرني عبد الله بن كيسان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أنا مولاك، عبد الله بن كيسان.

«قال: أما النسب فأعرفه، وأما أنت فلست أعرفك. قال: قلت له: إني ولدت بالجبل، ونشأت في أرض فارس، وإنني أخالط الناس

(١) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحساني: ص ١٧٣.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ص ٢ ك/ الإيمان والكفر ب/ طينة المؤمن والكافر ح ١.

في التجارات وغير ذلك ، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمات وحسن الخلق وكثرة أمانة ، ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم . وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة ، ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم ، فكيف يكون ذلك ؟

فقال لي : أما علمت يا بن كيسان أن الله عز وجل أخذ طينة من الجنة ، وطينة من النار ، فخلطهما جميعاً ، ثم نزع هذه من هذه ، وهذه من هذه ، فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن الخلق وحسن السمات فمما مستهم من طينة الجنة ، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فمما مستهم من طينة النار ، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه»^(١) .

وأيضاً لمزج الطينتين مدخلية في تكون الصور الإنسانية الظاهرية للكفار والمنافقين - هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً - ، فقد قال الإمام الباقر عليه السلام لأبي إسحاق الليثي في تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾^(٢) :

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ٤ ك / الإيمان والكفر ب / طينة المؤمن والكافر ح ٥ .

(٢) سورة النجم : (٣٢) .

«أتدري ما هذه الأرض؟

قلت : لا .

قال النبي ﷺ : اعلم أن الله عز وجل خلق أرضاً طيبة طاهرة ، وفجر فيها ماء عذباً زلالاً ، فاراتاً سائغاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها ، فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ، ثم نضب عنها ذلك الماء بعد السابع ، فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليهم السلام ، ثم أخذ جل جلاله ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ، ومحبونا من فضل طينتنا ، فلو ترك يا إبراهيم طينتكم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن سواء .

قلت : يا بن رسول الله ما صنع بطينتنا؟

قال النبي ﷺ : مزج طينتكم ولم يمزج طينتنا .

قلت : يا بن رسول الله وبما ذا مزج طينتنا؟

قال النبي ﷺ : خلق الله عز وجل أيضاً أرضاً سبخة خبيثة منتنة ، وفجر فيها ماءً أجاجاً مالحاً أسناً ، ثم عرض عليها جلت عظمته ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فلم تقبلها ، وأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام ، ثم نضب ذلك الماء عنها .

ثم أخذ من كدورة ذلك الطين المنتن الخبيث وخلق منه أئمة الكفر والطغاة والفجرة، ثم عمد إلى بقية ذلك الطين فمزج بطينتكم، ولو ترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم ما عملوا أبداً عملاً صالحاً، ولا أدوا أمانة إلى أحد ولا شهدوا الشهادتين، ولا صاموا ولا صلوا ولا زكوا ولا حجوا ولا أشبهوكم في الصور أيضاً^(١)؛ أي: في الصور الظاهرة المرئية من قبل الجميع.

٣- أن الحقيقة الأصلية للإنسان المتكونة من المادة، أو الجنس، أو الجسم الأصلي، أو الجسم الثاني^(٢)، ومن الصورة الأصلية، أو الفصل^(٣)، أو الجسد الأصلي، أو الجسد الثاني^(٤)، أو الجسد الباقي^(٥).. هي المثابة والمعاقبة^(٦).

وعليه.. فما سيكون لها من مراكب أو أثواب برزخية وعنصرية خلال تنزلها إلى النشأة الدنيوية من أجل استكمالها - لأن تمام العقد

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٤ ص ٦٤ ب٣ / طينة المؤمن وخروجه من الكافر وبالعكس.. ج٢١.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص ٢٥٠.

(٣) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص ٢٠.

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص ٢٤٨.

(٥) رسالة في جواب الآخوند الملا محمد حسين "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص ٥٥٩.

(٦) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص ١١٨.

الثاني في برزخ عالم المثال سيكون في عالم الدنيا - ، ما هي إلا أثواب عرضية ليست من ذاتها ، وحينما تُلقى من الأصل أثناء صعودها لن ينقص من تلك الحقيقة شيء أبداً^(١) ، كما سيأتي .

٤- الصورة الأصلية للإنسان المخلوقة من عالم المثال (عالم الخلق الثاني) ، حينما نقول بأنها من هورقليا نريد بذلك أنها من عناصره الحسية لا من أصوله المجردة^(٢) .

وحينما نقول بأنها برزخية نريد من ذلك أنها واقعة في البرزخ الذي بين عالمين (الدهر والزمان).

وحينما نقول بأنها مثالية لأنها صورة محددة ومخططة ؛ ولكنها غير قائمة بنفسها بل هي مجرد أظلة^(٣) وأشباح^(٤) لصورة النفس الكلية الأصلية الجوهرية القائمة بنفسها لا غيرها كصور المثال^(٥) .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١٤ .

(٢) رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٥ ص ٥١٢-٥١٣ .

(٣) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٦٥ .

(٤) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٥٨ .

(٥) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٤٠٤ .

المطلب الثاني: تنزل النفس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة

إذا اكتملت حدود الأنية، وأجزاء الماهية المشخصة للشيء؛ أي: المقدرات الهندسية التي لا يتحقق ظهوره في الأعيان إلا بها، وهي: الكم والكيف والرتبة والجهة والمكان والوقت، وما يلحق بذلك من الاستعدادات، والملكات، والعلوم، والأذن، والوضع، والأجل، والكتاب^(١)؛ استمرت حقيقة الإنسان المؤمن (النفس الناطقة القدسية)^(٢) بالنزول من الدهريات إلى الزمانيات^(٣).

أي: تنزلت بأطوار قابليّاتها من ما بالفعل حتى تصل إلى نقطة تكمن أو تغيب فيها في أثواب الزمانيات؛ أي: تكون إلى ما بالقوة^(٤)، فالنفس سابقة على البدن سبقاً دهنياً لأنها من المفارقات^(٥).

(١) شرح المشاعر- الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٥٣٧.

(٢) رسائل الحكمة- الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٨٥.

(٣) شرح فوائد الحكمة- الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٥١٥٠.

(٤) شرح الزيارة الجامعة- الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٢.

(٥) شرح العرشية- الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٠٦.

فجوهرها من عالم الملكوت ، وتعلقها بالجسمانيات لا يكون بذاتها بل بأفعالها بواسطة المدارك المباشرة للإدراك الجسماني^(١) ، وهي الأعراض البرزخية والعنصرية ، وقوى نفوسها التي جعلها الله - سبحانه وتعالى - للإنسان من أجل وصول نفسه الناطقة القدسية إلى نهاية كمالها^(٢) ؛ أي : وصولها إلى الحالة التي تكون فيها أختاً للعقل^(٣) ، وليس أنها حينما تستكمل تصبح عقلاً ؛ لأن المعلول لا يصل إلى رتبة علته وإن كمل .

وأول هذه المركب^(٤) هو الجسم البرزخي المثالي^(٥) ، أو الجسم الأول^(٦) المعبر عن نفسه بالنفس الحسية الحيوانية الفلكية^(٧) ؛ ثم الجسد العنصري ، أو الجسد الأول المعبر عن نفسه بالنفس النامية النباتية^(٨) .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٢) رسالة كشف الحق "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ٨ ص ٢١٥ .

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٣١٦ .

(٤) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٩٠٨٩ .

(٥) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٦) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٧) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٨١ .

(٨) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٤١٤ .

ويطلق على كليهما بمادة الجسم الزماني^(١) الذي خُلق من عشر قبضات: تسع من نفوس الأفلاك للجسم البرخي، وواحدة من تراب أرض الدنيا للجسد العنصري^(٢)، وبالتحديد من موضع القبر الذي سيدفن فيه الإنسان بعد موته؛ ولهذا قالوا في هذا الجسم (الزماني) بأن أوله العرش وآخره الثرى^(٣).

أما التسع القبضات التي من نفوس الأفلاك فهي:

(القبضة الأولى: من العرش محدد الجهات، خلق منها قلبه.

والقبضة الثانية: من فلك الكرسي، خلق منها صدره.

والقبضة الثالثة: من فلك زحل، خلق منها عقله.

والقبضة الرابعة: من فلك المشتري، خلق منها علمه.

والقبضة الخامسة: من فلك المريخ، خلق منه وهمه.

والقبضة السادسة: من فلك الشمس، خلق منها وجوده الثاني.

والقبضة السابعة: من فلك الزهرة، خلق منها خياله.

والقبضة الثامنة: من فلك عطارد، خلق منها فكره.

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحساني: ج ٢ ص ٢٣.

(٢) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحساني: ص ١٧١.

(٣) شرح آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ٢٤٦.

والقبضة التاسعة: من فلك القمر، خلق منها حياته^(١).
 وأما قوى نفسها الحسية الحيوانية الفلكية، فهي: روح القوة التي
 يحمل بها الثقل، وروح الشهوة التي بها يأكل ويشرب وينكح، وروح
 المدرج التي بها يدب ويمشي^(٢). ولها خاصيتان هما: الرضا،
 والغضب.

وأما القبضة الواحدة (القبضة العاشرة) التي من الأرض، فهي
 مركبة من العناصر الأربعة: النار، الهواء، التراب، الماء.
 وأما قوى نفسها النامية النباتية التي تعين النفس الحيوانية الحسية في
 أمورها؛ لأن هذه النفس مركب لتلك النفس^(٣) - بل إنها مركب الجميع
 كما سيأتي -؛ فهي: الجاذبة، والمساکة، والهاضمة، والدافعة،
 والمريية. ولها خاصيتان هما: الزيادة: أي: النمو عند اعتدال الغذاء،
 والنقصان: أي: الذبول عند عدم انضباط الغذاء^(٤).

(١) شرح آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٤١٤-٤١٥.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٩٩.

(٤) شرح المشاعر - الشيخ الأوحد: ج ٢ ص ٤٢٤.

والنفس الأصلية للمؤمن (الجسد الثاني أو الناطقة القدسية) تغيب في تلك النفوس بعد تنزيلها من شجرة المزن من عليين بواسطة الملائكة، ثم إلى الرياح، إلى السحاب، إلى الماء، إلى الأرض، إلى النبات، إلى الفواكه والبقول، ومن ثم إلى النطف المؤمنة في الأرحام^(١).

أما نفس الكافر المقدر بالمقادير الشيطانية، فهي كذلك خلقت من عشر قبضات:

القبضة الأولى: من الحوت الذي على البحر تحت الأراضين، خلق منها قلبه.

والقبضة الثانية: من الثور، خلق منها صدره.

والقبضة الثالثة: من الأرض السابعة القصوى، أرض الشقاوة، خلقه منها دماغه.

والقبضة الرابعة: من الأرض السادسة، أرض الإلحاد، خلق منها علمه.

والقبضة الخامسة: من الأرض الخامسة، أرض الطغيان، خلق منها وهمه.

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحاد" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٤٩.

والقبضة السادسة: من الأرض الرابعة، أرض الشهوة، خلق منها وجوده الثاني.

والقبضة السابعة: من الأرض الثالثة أرض الطبع، خلق منها خياله.

والقبضة الثامنة: من الأرض الثانية أرض العادة، خلق منها فكره. والقبضة التاسعة: من الأرض الأولى أرض النفوس، خلق منها جسده.

والقبضة العاشرة: من سماء الدنيا، خلق منها حياته^(١).
وأما غيابها في الأثواب أو النفوس العرضية، فإنها تصعد من شجرة الزقوم من سجين بواسطة الملك الحامل لها، إلى الريح العقيم (الأبجرة)، إلى البحر، إلى الحوت، إلى الثور، إلى النيران السبع، إلى الأراضين السبع، إلى أن تصيب البقول والثمار، ومن ثم إلى النطف الكافرة^(٢).

فمن أكل من قطرات شجرة المزن خرج من صلبه مؤمن، ولو كان الآكل لها كافراً، ومن أكل من قطرات شجرة الزقوم خرج من

(١) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ١٧٤.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٨١.

صلبه كافر، ولو كان الآكل لها مؤمناً، وهو مفاد قول أبي عبدالله عليه السلام: «إن في الجنة لشجرة تسمى المزن، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً، أقطر منها قطرة، فلا تصيب بقلة ولا تمرأه أكلها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً»^(١).

ومن هنا قال تعالى إرشاداً: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٢)؛ أي: إلى جهة مدده الذي يحتاج إليه في كل آن، فإن النطف المؤمنة مستجنة في منشأ المدد الأمري، والنطف الكافرة مستجنة في منشأ المدد الخذلاني^(٣). وبما أن العالم يجري على مقتضى الأسباب والمسببات، فالأكل الذي عنى به عليه السلام في الحديث السابق لا يقصد منه عشوائية انتقال النطف حين الأكل، وإنما يراد منه الميل لمنشأ المدد الأمري اللازم مفعوله من طيب المأكول والمشرب كالعلوم النافعة وغيرها؛ ولذا ورد في تفسير هذه الآية أن المراد بالطعام هو العلم^(٤)، وهو الماء الفائض لحياة كل شيء.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٨٤ ب ٣/ طينة المؤمن خروجه من الكافر وبالعكس.. ح ٨.

(٢) سورة عبس: (٢٤).

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٤٠٥.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢ ص ٩٦ ب ١٤/ من يجوز أخذ العلم منه ومن لا يجوز...

ومن وجه آخر، قد يراد به الأكل الظاهر من باب قوله تعالى :
﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(١).

وعلى أي حال..

إن غياب النفس الناطقة القدسية وما لحقها في مراتب نزولها في
النفطة الظاهرة ؛ أي : في الجسم البدني العنصري النباتي ؛ هو آخر
محطة لها في قوس النزول ، وهو أول محطة لها في قوس الصعود^(٢) ؛ لأن
الظاهر أولاً في عالم الغيب يكون ظهوره الأخير في عالم الملك ،
وبالعكس ، ولذا كان ظهوره عليه السلام آخر الأنبياء في عالم الملك ، مع أن
ظهوره أو وجوده النوري كان أولاً في عالم الغيب^(٣).

ولو أردنا جمع نكتة هذا المبحث ، فنقول باختصار :

بأن هذا الإنسان الجسمي البشري ، هو (الإنسان النباتي النامي ،
وفي جوفه الإنسان الحيواني الحسي الفلكي ، أهبطه الله على الإنسان
النباتي من الأفلاك من نفوسها ، وابن آدم يشارك في هاتين النفسين ؛

(١) سورة الأعراف : (٥٨).

(٢) رسالة في جواب الآخوند ملا علي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٣٦.

(٣) مفاتيح الأنوار - الشيخ محمد بن أبي خمسين : ج ١ ص ٣٩٨.

النباتية والحيوانية الحسية جميع الحيوانات^(١)، وفي جوفه الإنسان الحسي المثالي، وفي جوفه الإنسان الهبائي البرزخي، وفي جوفه الإنسان الطبيعي، وفي جوفه الإنسان النفساني، وفي جوفه الإنسان الروحي، وفي جوفه الإنسان العقلي المنزل من شعاع العقل الكلي^(٢).

أو أن هذا الإنسان المرئي المشاهد أمامي له جسمان وجسدان: جسم أصلي، وجسم عرضي برزخي، وجسد أصلي، وجسد عرضي عنصري^(٣).

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) رسالة في شرح الرسالة العلمية للملا محسن الفيض "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١١٠.

(٣) رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٥ ص ٥٣١.

الفصل الثالث

وفيه ثلاثة مطالب :

الأول: ظهور النفس في عالم الشهادة وتأثير العمل عليها

الثاني: اتصاف النفس بهيئة العمل في دار الدنيا

الثالث: عملية تبدل الصور بالأعمال في دار الدنيا

المطلب الأول: ظهور النفس في عالم الشهادة وتأثير العمل عليها

إذا علمت جميع ما تم تقريره سابقاً..

فتبين لك أن الإنسان الحقيقي ؛ أي : النور العقلي الذائب^(١) الذي ألبس صورة ناطقة^(٢) ثم أهبط كما ذكرنا ، هو الجسم أو النور الجامد^(٣) لنفس زيد المتصورة بالصورة البشرية.

فنفس زيد المتقدمة تقدماً دهنياً في عالم الملكوت نزلت إلى عالم الأجسام في طور الجسمية ، ثم تنتقل إلى البرزخ ، ومنه إلى القيامة ، ثم إلى الجنة أو النار.

فالنازل هو هذا الجسم الظاهر أمامك ، وهو بعينه جسم الآخرة لا يتغير^(٤) كما قال تعالى : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٥) ؛ إلا أنه بعد تعلق

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٩ .

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٣٧ .

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٩ .

(٤) رسالة في جواب الآخوند ملا علي "تراث الشيخ الأوحاد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٠ .

(٥) سورة الأعراف : (٢٩) .

الأعراض به في أطوار نزوله يكسر، ويصنف منها، ويصاغ الصيغة التي لا تحتل الفساد^(١) كما سيأتي.

ومن هذا المبدأ قالوا: (إن الظاهر في الوجود الزمني قبل الباطن، كما أن الباطن في الوجود الدهري قبل الظاهر)^(٢)؛ أي: إن الأجسام لها سبق زمني، والأرواح لها سبق دهري. وعلى أي حال..

إذا وصلت نفس الإنسان (النفس الناطقة القدسية) أو جوهره أو (نطفته الباطنة المعنوية)^(٣) إلى نهاية قوس نزوله تبدأ حينئذٍ في العودة إلى ما منه بدأت.

أي: تبدأ بالسير صعوداً إلى جهة مبدئها المنير، وهي رافعة رأسها إلى الأعلى إذا كانت مؤمنة^(٤)، وبالسير سافلاً إلى جهة مبدئها الغاسق أو المظلم، وهي منكسة رأسها إلى الأسفل إذا كانت كافرة أو منافقة^(٥)

(١) رسالة في جواب الآخوند ملا علي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠.

(٢) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٣٢.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٧٢.

(٤) رسالة في جواب الآخوند ملا علي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٧.

(٥) وصية إلى المرحوم المبرور الآغا محمد شريف الكرمانلي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي: ج ١١

كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(١)، وقال: ﴿تَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

وتعلقها بالجسم^(٣) يكون بتدرجها ظهوراً - من رتبة القوة إلى رتبة الفعل في الزمان - من غيب مراكبها التي كمنت فيها؛ كتدرج ظهور الحلاوة في قسبة السكر شيئاً فشيئاً، وتدرج ظهور الشجرة من غيب النواة^(٤).

وقد قلنا: من القوة إلى الفعل في الزمان؛ لأن وجودها في الدهر كان بالفعل في خزائن الممكنات، ولما كمنت في أثواب الزمانيات أصبحت موجودة بالقوة وظهورها منها يكون بالفعل، فما بالقوة سابق على ما بالفعل زماناً، وما بالفعل سابق على ما بالقوة دهرًا^(٥).

فتظهر النفس النباتية أولاً، وهي النطفة الظاهرة المتكونة من صفو نبات الأرض (الولادة النباتية) كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

(١) سورة التين: (٥).

(٢) سورة السجدة: (١٢).

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٦٩.

(٤) رسالة في جواب السيد أبي الحسن الجليلاني "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٧.

(٥) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٣١٧.

نَبَاتًا^(١)، وترقى النطفة في ربتها النباتية من طور العلقة، إلى طور المضغة، إلى طور العظام، إلى طور أن تكسى لحماً: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾^(٢).

وإذا طبخت الطبيعة أجزاءها الخمسة المتبخرة منها طبخاً معتدلاً (جزء ناري، وجزء ترابي، وجزء هوائي، وجزآن مائيان) بمعونة أشعة الكواكب حتى تتلطف وتشابه في لطافتها جرم فلك القمر^(٣) تظهر النفس الحيوانية (الفلكية الحسية) من غيب النباتية بالولادة الجسمانية بعد تمام أربعة أشهر كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(٤).

ثم تظهر النفس الناطقة القدسية - التي كانت مغيبة في تلك المراكب - من غيب الحيوانية عند الولادة الدنياوية^(٥). وهكذا يكتمل تعلقها بالجسم، أو تكتمل الولادة الجسمانية، أو الولادة البشرية للإنسان الظاهر أمامك.

(١) سورة نوح: (١٧).

(٢) سورة المؤمنون: (١٤).

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٧٢.

(٤) سورة المؤمنون: (١٤).

(٥) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٥.

وبعد ذلك تبدأ رحلتها الفعلية نحو تحصيل الكمال بالعلم والعمل^(١)؛ أي: تبدأ رحلتها نحو مشابقتها لجوهر علتها، وهي النفس الكلية الإلهية الملكوتية^(٢) التي خلق من شعاعها النفس الناطقة القدسية.

وقلنا تشابهها:

لأن الناطقة مهما وصلت في حدود كمالها فإن سيرها يكون عرضاً في سلسلة الخلق لا طويلاً، إذ الشيء لا يمكنه تجاوز رتبته الكائن فيها إلى الرتبة الأعلى منه.. فلا النبي يكون إلهاً إذا كمل، ولا الإنسان يكون نبياً إذا كمل، ولا الحيوان يكون إنساناً إذا كمل^(٣).

وبشكل مجمل..

تكون النفس في بداية رحلتها متساوية الصلوح^(٤) في قبولها للخير أو الشر، كما في صلوح استعدادها في التكليف الأول بذاك العالم^(٥)؛ أي: تكون كمادة السرير الصالحة لأن تكون صنماً أو منبراً؛ ولذا ورد

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٨٩.

(٣) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤١.

(٤) رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١٠ ص ٤٠٤.

(٥) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص

عنهم عليه السلام : «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»^(١) ؛ فإن الفطرة يراد بها التهيؤ والاستعداد للقبول^(٢) .

والنفس النباتية والنفس الحيوانية لكثرة ما فيهما من الطبائع والشهوات لو تركتا في هذه الفترة - أي : في فترة عدم بلوغ الإنسان - لكانتا أسرع وأقوى انغماساً في همومها وشهواتهما من حركة تشبه النفس الناطقة بالنفس الكلية الملكوتية^(٣) ؛ لأن إشراق نور وزيرها العقل لا يتم إلا بالتدرج بعد ولادتها ، فلا تنكشف غشاوته دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً .

وتبدأ تلك الغشاوة بالانكشاف في سن البلوغ (سن البلوغ الظاهر أو التوقيت الشرعي للتكليف) ، وتقوى إلى ثماني عشرة سنة ، وتشتد عند الثلاثين أو ثلاث وثلاثين ، وتكمل عند الأربعين سنة^(٤) ، كما قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾^(٥) .

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ك / الإيمان والكفر ب / فطرة الخلق على التوحيد ص ١٣ ح ٣ .

(٢) صحيفة الأبرار - الميرزا محمد تقي الممقاني : ج ١ ص ٥٣ .

(٣) رسالة في جواب الميرزا جعفر النواب "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٥٠-١٥١ .

(٤) رسالة في جواب السيد حسين ابن السيد عبد القاهر "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١١ ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(٥) سورة الأحقاف : (١٥) .

فلا يجري على الإنسان أي شيءٍ من أحكام أعماله قبل بلوغه الظاهري ؛ إلا إذا بلغ باطناً قبل ذلك.

أي : إذا أصبح (الصبي) بإمكانه التمييز ، فهنا تجري عليه ما يتعلق بالآخرة من الأحكام ، أما ما يتعلق من أمور الدنيا فلا تجري عليه ، ويعرف بلوغه الباطني بإدراكه كليات حقيقة أمره ؛ كمعرفته بأن له صناعاً صنع كل شيء.. فهنا يجب عليه من الأحكام بقدر مرتبته^(١).

من هنا جاء الشرع المقدس في حثه للأبوين بمراعاة تربية الطفل وتدريبه - في هذه الفترة بالذات - على جميع ما فيه تقوية لجهة اعتباره من ربه ، كأمره وتمرينه على أداء الصلاة والطاعات ، وإضعاف جميع ما فيه تقوية لجهة اعتباره من نفسه ، كتيبان مفسد الشرور والمعاصي له بقدر فهمه ؛ وذلك حتى لا تستعبد النفس النباتية والحيوانية سائر قواه وآلاته الجسمانية ، وتكون لهما السيطرة والطغيان عليه بالميل إلى شهواتهما حينما يتم العقل ويبدأ في عمله بتأييد الناطقة.

وإذا بلغ (ظاهراً أو باطناً) أو كلف للقرار ؛ لأن التكليف في عالم الذر للتقرير ، وهنا للقرار بما كلف به ، وهو مفاد قوله تعالى : ﴿لِيَقْضِيَ

(١) رسالة في جواب الشيخ محمد ابن الشيخ علي القطيفي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي :

اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ ﴿١﴾ ،
وفي يوم القيامة للاستقرار^(٢) - كما سيأتي - ؛ أصبح مستعداً للإيجاد
الشرعي^(٣) .

أي : أصبحت نفسه مستعدة لأن تنصبغ بهيئة عمله في باطنه
بحسب مقتضى ميله لمنشأ السعادة أو الشقاوة ، فتجري عليه حينئذٍ
أحكام عمله باختياره إذ لا جبر في المأمور أو المنهي عنه^(٤) .

فإذا انشغل بعمل الطاعات مالت نفسه إلى جهة النور ، ولبست
الناطقة ما يناسبها من هيئة الصور النورانية من جهة اليمين من كتاب
الأبرار .

وإذا انشغل بعمل المعصية مالت نفسه إلى جهة الظلمة ، ولبست
الأمارة - أو الحيوانية- ما يناسبها من هيئة عكوسات تلك الصور ؛ أي :
من الصورة الشيطانية أو البهيمية ، من جهة الشمال من كتاب
الفجار^(٥) .

(١) سورة الأنفال : (٤٢) .

(٢) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٧٧ .

(٣) رسالة في جواب السيد محمد ابن السيد أبي الفتوح "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١٠ ص ٤٠٨ .

(٤) رسالة في العلم في جواب السيد أبي الحسن الجيلاني "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٢٦ .

(٥) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٥٤ .

وهكذا هو يلبس صورة ويخلع في هذه الدنيا حتى يأتيه الموت ؛ فتقبض وتحشر نفسه على الصورة التي استقرت هيئة عملها عليها، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾^(١).

فالعمل الصالح - أو الطاعة - إذا يؤثر في الناطقة من جهة استكمالها بلبسها للصورة الإنسانية القدسية، ويؤثر في الحيوانية الفلكية ووزيرها (النفس الأمارة بالسوء) في قمعها حتى تترقى في مراتبها إلى أن تصبح أختاً للعقل^(٢)؛ أي: تشابهه، لا بمعنى أنها تصبح عقلاً.

أما العمل الطالح - أو المعصية - فلا يؤثر في الناطقة إلا من جهة غيابها وتوقعها على نفسها، ويؤثر على الأمارة والحيوانية الفلكية في تقلبهما كيفما شاءا في صورهما الشيطانية أو البهيمية - كما سيأتي لاحقاً..

ويجمع كل ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابته أوائل جواهر عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت أضدادها فقد شارك بها السبع الشداد»^(٣).

(١) سورة الكهف: (١٨).

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٩٩-١٠٠.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤٠ ب ٩٣ / علمه عليه السلام وأن النبي علمه ألف باب وأنه محدث ص ١٦٥ ح ٥٤.

وأما النفس النباتية التي هي مركب للكل فإنها إذا اعتدلت في أكلها وشربها واشتدت من مددها الحلال أعانت النفس الناطقة القدسية في أمورها، وأصبح ارتباطها بجسد النباتية ضعيفاً، وسهل خلعها متى شاءت؛ لأنه إذا اندكت إنية كثافته انقطع التعلق والارتباط به لغلبة اللطافة السارية إليه، كما هو الحال في تصرف المعصومين في صور بشرتهم متى شاءوا لمماسها للطافة أجسادهم النورانية، فترى الواحد منهم يطوي الأرض بسرعة، ويكون في أكثر من مكان في وقت واحد^(١).

أما إذا شبت واشتدت من مددها الحرام أعانت الحيوانية الفلكية في أمورها، وأصبح ارتباطها به قوياً قد لا يمكن التخلص منه إلا في أطباق الثرى^(٢).

ولا تأثير للعمل عليها - على النفس النباتية - أبداً؛ لأنها نفس عرضية ليست من ذات الإنسان؛ أي: لا تعلق لصورة الثواب أو العقاب بها^(٣)، ولذا فإنها تعود إلى طبائعها الأربع بعد تحلل آلائها

(١) رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي) "تراث الشيخ الأوحدي - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٦.

(٢) رسالة في جواب الملا علي أكبر بن محمد سمیع "تراث الشيخ الأوحدي - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١٠ ص ١٣١.

(٣) رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي) "تراث الشيخ الأوحدي - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣

عودة ممازجة لا مجاورة^(١) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قوة أصلها الطباع الأربع، بدء إيجادها عند مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطائف الأغذية، فعلها النمو والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة»^(٢).

وكذلك تعود النفس الحيوانية إلى نفوس الأفلاك بعد تحلل آالاتها في البرزخ بعد نفخة الصعق كما سيأتي.

(١) رسالة في جواب السيد أبي الحسن الجيلاني "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٢-١١.

(٢) التعليقات على الفوائد الرضوية - القاضي سعيد القمي: ف ٢ - ٢م / ما المتكثر المتوحد ص ١١١.

المطلب الثاني: اتصاف النفس بهيئة العمل في دار الدنيا

ذكرنا سابقاً: إن الإنسان إذا بلغ رتبة تكليفه بالعمل - بلوغه الشرعي - صارت نفسه مهياًة لأن تلبس أو تنصبغ إما بصور الطاعة من جانب أمر الله ، وإما بصور المعصية من جانب نهيه بناء على ميله لأي جانب يكون وباختياره .

وهنا يجب أن تعلم :

إن المكلف إذا عمل العمل فإن حقيقة العمل الواحدة ظهورات بهيئات أو صور مختلفة - بحسب أحكام مواطنها - جميعها لباس لتلك الحقيقة^(١) .

فظهورها في هذه الدنيا - في الخارج - كما ترى في هيئاتها : من هيئة الصلاة ، وهيئة الدعاء ، وهيئة الزنا ، وهيئة السرقة وغير ذلك ؛ مدرك بالحواس الظاهرة ، ولها تأثير في النفس بالمعاني النفسانية المنتزعة من هيئات وجوداتها الخارجية .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١٢٢ .

فمن يستطيع أن ينكر تأثير الأعمال الحسنة كالشجاعة والحين، أو الأعمال السيئة كالكرم والبخل على نفسه وعلى نفوس الآخرين .
ولها ظهور آخر مثالي ذو صور مقدارية ؛ أي : محددة ومخططة بالمقادير من الكم والكيف والوقت والرتبة والجهة والوضع في وجودها الملكوتي أو البرزخي بما يناسبها من المثل النورانية أو الظلمانية^(١) .

ومما يدل على ذلك رؤيته ﷺ لصور من ينعمون ويعذبون من أهل الدنيا حينما مر على سمائها في ليلة معراجة ، فقد روي عن أبي عبدالله ﷺ أنه قال - في حديث طويل يبين فيه كيفية معراجة ﷺ - :
« قال : ثم مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث ، يأكلون اللحم الخبيث ، ويدعون الطيب .

فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال ، وهم من أمتك يا محمد ..

ثم مضيت فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشافر الإبل يقرض اللحم من جنوبهم ، ويلقى في أفواههم .

فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٤٠٣ .

فقال : هؤلاء الهمازون اللمازون.

ثم مضيت فإذا أنا بأقوام ترضح رؤوسهم بالصخر ، فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء»^(١).

ومن الآيات قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٢) ، فحقيقة أكل أموال اليتامى ظلماً واحدة ؛ ولكن هذه الحقيقة متجلية في صور مختلفة بحسب أحكام مواطنها.

ولها أيضاً - أي : لحقيقة العمل الواحد - ظهور أخروي في صور النعيم والحر والقصور ، أو في صور العذاب والعقاب الأليم^(٣) ، وهو مصداق قوله ﷺ : «الدنيا مزرعة الآخرة»^(٤) ؛ فما تزرعه اليوم تحصده غداً بعين حقيقته التي ظهرت بها في الدنيا ، من صلاة وصيام وغير ذلك ، ومن سرقة ونميمة وكذب وغير ذلك ؛ فتجسم الأعمال غداً ما هو إلا ظهورها بصور محددة ومقدرة بأحكام الآخرة.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١٨ ص ٣٢٤ ب ٣ / إثبات المعراج ومعناه وكيفيته .. ح ٣٤ .

(٢) سورة النساء : (١٠) .

(٣) الرسالة التبوية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٨ ص ٢٠١ .

(٤) عوالي اللثالي - ابن أبي جمهور الأحسائي : ج ١ ص ٢٦٧ ف ١٠ ح ٦٦ .

ولا يمكن أن يقال: إن الأعمال لا تتجسم في الآخرة لأنها من الصفات فهي أعراض - كما سيأتي -؛ لأن الشيء قد يكون على أنحاء مختلفة في وجوده، فيكون عرضاً من ناحية، وجوهراً من ناحية أخرى، كالعلم الذي يظهر في عالم اليقظة بصورة عرضية مدركة بالعقل، وفي عالم اليقظة بصورة جوهرية كصورة اللبن^(١).

وأقرب تصور للأذهان في اختلاف هيئات الحقيقة الواحدة للعمل الطاقة الكهربائية.

فإنها واحدة في حقيقتها؛ ولكن لها هيئتها تختلف بحسب أحكام المواطن التي تحل فيها، فإذا حلت في التلفاز ظهرت به، وإذا حلت في المصباح ظهرت بهيئته، وفي جهاز التبريد كذلك وهكذا في كل شيء تحل به، وحقيقتها في جميع ما تحل به واحدة، وما الاختلاف إلا في الهيئة أو الصورة التي حكمت هندستها أحكام المواطن.

وما دام المكلف يعمل ذلك العمل في دار الدنيا فإن تلك الهيئات أو الصور لا تزال موجودة في صحائفه؛ سواء في الصحائف التي أعلى من ذاته وهي ما في ألواح نفوس الملائكة والأشهاد، أو في الصحائف التي أدنى من ذاته وهي صور أمثال أعماله في ألواح البقاع التي عمل

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحساني: ج ٣ ص ٣٩٩.

فيها العمل ، أو في صحائف ذاته وهي أمثال أعماله المقدرة بهيئة عمله وأثارها^(١) ؛ فأثر فعله لا يزال (مكتوباً في صحيفة ذاته ؛ أي : تكون ذاته متصفة بأثر ذلك العمل)^(٢).

وكذلك لا تزال أنت تراه متصفاً - إذا وقفت عليه في حين عمله - به في كل حال ؛ لأن الحفظة لما كتبت مثاله في غيب مكان ووقت عمله انتقشت صورة ذلك المثال في مرآة خيالك ، فما دمت حياً لا تذكره إلا بذلك لأنك تقابل بمرآة خيالك مثاله في مكانه ووقته .

أما إذا علمت بتغيير عمله - سواء أكان ذلك عن ميله من الطاعة إلى المعصية بالخذلان ، أو من المعصية إلى الطاعة بالتوبة - انمحق ذلك المثال من مكانه ووقته من نفوس الملائكة الحفظة ومنك ، فلا تراه لابساً لذلك المثال ولا متصفاً به ؛ بل تراه وتصفه بالمثال الجديد الذي هو فيه^(٣).

فقد روي عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١٠٢ .

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ١٠١ .

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٥٦ .

يقول: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة.

فقلت: وكيف يستر عليه؟

قال: ينسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، ويوحى إلى جوارحه اكنمي عليه ذنوبه، ويوحى إلى بقاع الأرض اكنمي ما كان يعمل عليك من الذنوب؛ فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»^(١).

واتصاف النفس أو تصورها بهيئة أثر العمل لا يجري إلا على النفوس الحاملة لطبيعة سنخ العمل، وبالتعاقب أيضاً؛ لأن الإنسان من حيث وحدته الشخصية لا يقبل جريان الفصول المتعددة عليه في آن واحد^(٢).

بمعنى آخر..

أنه إذا امتثل مادة أمر الله - سبحانه وتعالى - فإن النفس المتصفة أو المتصورة بصورة هيئة امتثاله هي النفس الناطقة القدسية؛ لأنها المادة المناسبة لحدود صور الطاعة النورانية.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ص ٤٣١ ك/ الإيمان والكفر ب/ التوبة ح ١.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٤٢١.

فليست هي من تتقلب - أو تتجسم - في الصور الحيوانية أو البهيمية أو الشيطانية^(١) ؛ لأنها من إشراق الفعل فلا تفارق روح الإيمان ، فهي نور والنور لا ينقلب إلى ظلمة^(٢) ؛ وإنما تغيب أو تلتحق بمنيرها إذا انبسطت الظلمة في محلها ، كما روي عن أبي خديجة قال : دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي : «إن الله تبارك وتعالى أيد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي ، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي ، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه وتسيخ في الثرى عند إساءته»^(٣) .

وإذا امتثل لمادة نهيه - سبحانه وتعالى - فإن النفس المتصورة بصورة هيئة امتثاله هي النفس الأمارة بالسوء مع مركوبها من النفس الحيوانية الحسية الفلكية^(٤) ؛ لأنهما المناسبتان لأن يلبسا ما شاءا من حدود صور المعاصي ، التي إما أن تكون شيطانية إذا كانت من جهة النفس الأمارة ؛ كصورة المكر والخديعة ، وإما بهيمية أو سبعية أو مسوخية إذا كانت من

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٧٢ .

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٤٥ . ١٤٧ .

(٣) رسالة في جواب الميرزا محمد علي المدرس "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١١ ص ٥٩ .

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٥٠ .

جهة النفس الحيوانية ؛ كصورة الفرس والحمار إذا كانت بهيمية ،
وكصورة الأسد والهر إذا كانت سبعية ، وكصورة القرد والحية إذا
كانت مسوخية^(١) .

ومصداق ميل النفس إلى جهة الطاعة أو إلى جهة المعصية تأويل
قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا
عَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾^(٢) .

وتصور أو تجسم حصة النفس الحيوانية بمختلف الصور الظلمانية
من شيطانية وبهيمية وغيرها ؛ لأن ليس لها فصل معين في الإنسان ،
فهي صالحة لأن تلبس كل صورة مناسبة لمنشأ عملها^(٣) .

فمثلاً : شهوة (النكاح من الحرام تقتضي صورة الدب ، وشهوة
الغضب لغير الله تقتضي صورة الكلب ، وشهوة المكر والخديعة تقتضي
صورة الثعلب ، وشهوة الرياسة تقتضي صورة السبع ، وشهوة التكبر
تقتضي صورة الذر وله أنياب أكبر من جبل أحد ، وشهوة العشق
تقتضي صورة القرد ، وشهوة الدرهم والدينار تقتضي صورة الخنزير ،

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٥٦ .

(٢) سورة الكهف : (١٧) .

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٤٢٠ .

وشهوة الغناء تقتضي صورة بعض الطيور والجمال ، وشهوة المفعولية تقتضي صورة الفرس ، وشهوة النميمة تقتضي صورة العقرب ، وهكذا مجمل القول في كل عمل لم يقصد فيه رضاء الله سبحانه ، فعامله في ذلك الوقت على هيئة بهيمة من البهايم منكس الرأس^(١) .

وقد روي عن ابن مسرور ، عن ابن بطة ، عن البرقي ، عن أبيه رفعه إلى زرارة بن أوفى قال :

دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام فقال :

«يا زرارة الناس في زماننا على ست طبقات : أسد ، وذئب ،

وثعلب ، وكلب ، وخنزير ، وشاة .

فأما الأسد فملوك الدنيا ، يجب كل واحد أن يغلب ولا يغلب .

وأما الذئب فتجاركم يذمون إذا اشتروا ، ويمدحون إذا باعوا .

وأما الثعلب : فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ، ولا يكون في

قلوبهم ما يصفون بألستهم .

وأما الكلب يهر على الناس بلسانه ، ويكرهه الناس من شره

لسانه .

(١) وصية إلى المرحوم المبرور الآغا محمد شريف الكرمانى "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ١١

وأما الخنزير: فهؤلاء المختنون وأشباههم، لا يدعون إلى فاحشة إلا أجابوا.

وأما الشاة: فالذين تجر شعورهم ويؤكل لحومهم ويكسر عظمهم؛ فكيف تصنع الشاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير^(١).

ولا نقصد بتلبس أو تصور الإنسان بالصور المعوجة بمعنى خروجه من فصل الناطق إلى فصل الصاهل؛ أي: إن الإنسان انقلب إلى حيوان؛ بل نريد بذلك أمران:

الأول: إن حصة حيوانية النفس الأمانة لما لبست تلك الصور المناسبة لها اتصف الإنسان بها بحسب مقتضى باعثها التطبعي^(٢).
بمعنى آخر..

إذا مالت نفسه لجهة المعصية تطبعت شخصيته بالطبيعة التي تؤيد مقتضى منشأ معصيته؛ كالطبيعة البهيمية، أو السبعية مثلاً^(٣).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٢٢٥ ب ١٢ / شدة ابتلاء المؤمن وعلته وفضل البلاء ح ٣٢.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٤٣.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٨٦.٥٨.

فهو باق على حالته أو صورته الإنسانية الظاهرية لباعث التكليف في هذه النشأة الدنيوية ؛ ولكن له حالة تطوعية - حالة باطنية - أخرى متعلقة بجهة اتصاف النفس بمنشأ أعمالها السيئ.

وهذا ظاهر لمن تدبر الأمر..

فأنت ترى الإنسان النمام مثلاً في الظاهر بصورته الإنسانية، وتصف طبيعته (شخصيته) بصورة العقرب، فهو إنسان عندك في الظاهر، ولكنك تصفه (بالعقرب) إذا انحصرت أعمالها في منشأ تلك الطبيعة. وكذلك تصف صاحب المكر والخديعة بالشیطان، وتصف صاحب حب الرياسة بالسبع.. مع أنهم ظاهرون لك بصورهم الإنسانية، وهكذا في البقية الصور الحيوانية والشیطانية.

ثانياً: إذا تكرر أو انحصر أو غلبت أعماله في المعوج والمجث من الأعمال حتى أصبح ذلك ملكة راسخة عنده بكثرة التكرار (لا حالاً)^(١) خرجت نفسه الإنسانية بمادتها وفصلها الناطق، وظهرت عليه الصورة الحيوانية أو الشيطانية، وعلى هذه الصورة يتم حشره في يوم القيامة^(٢).

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٩٨.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٤٢١.

ولا تعتقد أن هذا تناسخاً..

بمعنى أن روح الإنسان خرجت من جسد ودخلت في جسد ؛ لأن النسخ يكون في الانتقال إلى صورة أجنبية ، والصورة التي انتقل إليها ليست أجنبية عنه ؛ بل هي صفته التي خلقت له من أثر هيئة عمله ، فهي منه ومقتضى آثارها يعود إليه ^(١) كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ^(٢) .

وبمعنى آخر..

هو في أصل حيوان ^(٣) ، وما الصورة الإنسانية الظاهر بها ظاهراً إلا للمجاورة ؛ ولذا قال : ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ^(٥) .

فقد وصف هؤلاء بالشياطين والأنعام (الحيوانات أو البهائم) رغم أن ظهورهم ظاهراً في دار الدنيا بالصورة الإنسانية.

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٤٨ .

(٢) سورة الأنعام : (١٦٤) .

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٤٢١ .

(٤) سورة الأنعام : (١١٢) .

(٥) سورة الأنعام : (١١٢) .

فلمشاهد والملموس ظاهراً - في كلا الأمرين - هو الصفة الطبيعية ؛
أما الحقيقة الباطنية المتبدلة من تجسم أو تقدر المادة بصورة العمل تبقى
مستورة عن أعين الناس في هذه الدنيا بستر الصورة الإنسانية في الظاهر
للمجاورة^(١).

كما قال تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(٢).

وكما في تأويل قوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾^(٣).

وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو تكاشفتم ما تدافتم»^(٤).

ولكنها ليست مستورة عن الإمام المعصوم عليه السلام؛ فهو يشاهد ظاهر
وباطن كل شيء، كما روي عن أبي بصير قال: «قلت لأبي جعفر
عليه السلام: أنا مولاك ومن شيعتك ضعيف ضير، اضمن لي الجنة.

قال عليه السلام: أولاً أعطيك علامة الأئمة؟

قلت: وما عليك أن تجمعها لي؟

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) سورة طه: (١٥).

(٣) سورة الكهف: (١٨).

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق: ج ٢ ص ٥٨.

قال النبي ﷺ: وتحب ذلك؟

قلت: كيف لا أحب؟

فما زاد أن مسح على بصري فأبصرت جميع ما في السقيفة التي كان فيها جالساً.

قال النبي ﷺ: يا أبا محمد هذا بصرك، فانظر ما ترى بعينك.

قال: فوالله ما أبصرت إلا كلباً وخنزيراً وقرداً.

قلت: ما هذا الخلق الممسوخ؟

قال النبي ﷺ: هذا الذي ترى، هذا السواد الأعظم، ولو كشف

الغطاء للناس ما نظر الشيعة إلى من خالفهم إلا في هذه الصورة، ثم

قال النبي ﷺ: يا أبا محمد إن أحببت تركتك على حالك هكذا وحسابك

على الله، وإن أحببت ضمنت لك على الله الجنة ورددتك على حالك

الأول.

قلت: لا حاجة لي إلى النظر إلى هذا الخلق المنكوس، ردني فما

للجنة عوض، فمسح يده على عيني فرجعت كما كنت»^(١).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٧ ص ٣٠ ب ١٣ / أنهم يقدرون على إحياء الموتى.. ح ٣.

المطلب الثالث: عملية تبدل الصور بالأعمال في دار الدنيا

ذكرنا سابقاً: إن المكلف إذا امتثل لمادة الأمر أو النهي ، فحقيقة ذاته متصفة أو متصورة بهيئة صورة عمله.

ولكن..

هل اتصافه بصورة العمل أو تبدل ذلك من صورة إلى صورة - لأنه كما قلنا لا يزال يلبس صورة ويخلع أخرى حتى يموت ويحشر على الصورة التي استقر عليها عمله - يحدث مباشرة بعد الامتثال أم لا؟
بمعنى آخر..

لو عمل الإنسان في اليوم الواحد عملاً صالحاً اتصفت حقيقته ، أو تبدلت - صورته مباشرة إلى ما تقتضيه من هيئة صور ذلك العمل ، وإذا عمل في نفس ذلك اليوم عملاً طالحاً تبدلت تلك الصورة إلى ما تقتضيه من هيئة صور ذلك العمل .. فهل الأمر هكذا يكون؟

وعليه قد تكون صورته في قلب مستمر بكل عمل يأتي عليه قد يصل إلى عشرات المرات في اليوم واللييلة ؛ أي : إنها تكون في عملية كسر وصوغ مستمرة إلى الممات !

وأيضاً : إذا كان هذا التبدل يحدث مباشرة للصورة ؛ فهل تتبدل صورة من محض الإيمان محضاً - المؤمن - بمجرد عمله المعصية أم ماذا؟ وهل تتبدل صورة من محض الكفر محضاً - الكافر - بمجرد عمله الطاعة أم ماذا؟

الجواب :

حينما نريد الكلام عن عملية تبدل الصور بالأعمال فهناك عدة جهات يجب أن تأخذ بعين الاعتبار في ذلك ، من هذه الجهات ما هو خاص بالعمل ، ومنها ما هو خاص بالعامل نفسه :

أولاً : الجهة الخاصة بالعمل

مما لا شك فيه أن أفراد كل رتبة من رتب الموجودات وإن جمعتهم مشخصات عموم الرتبة التي هم فيها ؛ إلا أنه يوجد بينها تفاوت في المشخصات الجزئية .. فعمرو وزيد وإن جمعتهما عموم مشخصات

الرتبة الإنسانية إلا أن عمر حتماً ليس كزيد في مشخصاته الشخصية، وزيد ليس كعمرو كذلك.

والأعمال من هذه الجهة هي كذلك بصورة مجملة؛ أي: إنه يوجد هناك اختلاف بين مصاديقها في الخصوصيات والمشخصات وموازين العمل نفسه^(١)، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

ومن تلك الموازين:

١- ميزان القدر: أي قدر ثقله بالثاقيل، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣)، وكما روي عن أبي جعفر أنه قال: «إن الخير ثقل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة، وإن الشر خف على أهل الدنيا على قدر خفته في موازينهم»^(٤)، فيكون لعمل ما - مثلاً - خمسة مثاقيل، ولآخر عشرة.. وهكذا.

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٥٧.

(٢) سورة الأعراف: (٩٨).

(٣) سورة الزلزلة: (٨٧).

(٤) الخصال - الشيخ الصدوق: ص ١٧ ح ٦١.

٢- ميزان اللون: أي لون نور الطاعات ولون ظلمة المعاصي ؛ لأن الأثر يشابهه مؤثره في خصائصه. فالطاعة لما كانت مستمدة من جهة النور وإليه تنسب وتعود فهي مشابهة لها، والمعصية لما كانت مستمدة من جهة الظلمة وإليها تنسب وتعود فهي مشابهة لها في كل شيء حتى في اللون.

ولذا قلنا سابقاً: إن من آثار الطاعة بياض الوجه، ومن آثار المعصية أو التقصير اسوداده^(١)، كما روي في ثواب وعقاب ولايته ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يا علي! فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد ممن كان يحبك ويتولاك إلا شرح لهذا الكلام صدره وابيض وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن نصب لك حرباً أو أبغضك أو عاداك أو جحد ذلك حقاً إلا اسود وجهه وطويت قدماه»^(٢).

٣- ميزان القيمة: أي ثمن جزائه أو قيمته عند الله - سبحانه وتعالى -، بأن تكون واحدة أو عشرة أو ألفاً، كما روي - في جزاء من قال لا إله إلا الله - عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «من قال في كل يوم عشر مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ١٠٢.

(٢) بصائر الدرجات - الصفار: ص ٤٣٦ ب/ في أمير المؤمنين أنه قسم الجنة والنار ح ١١.

واحداً أحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً؛ كتب الله له خمساً وأربعين ألف حسنة، ومحا عنه خمساً وأربعين ألف سيئة، ورفع له خمساً وأربعين ألف درجة»^(١).

أو قد يكون بغير حساب كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

٤- ميزان البقاء: أي مدة استدامة صورة العمل وآثاره بأن تبقى يوماً أو شهراً أو سنة، كما في بقاء الخمر في مشاشة شاربه أربعين يوماً، فقد قال الصادق عليه السلام: «ممن الخمر يلقي الله حين يلقاه كعابد الوثن، ومن شرب منه شربة لم يقبل الله عز وجل صلاته أربعين يوماً»^(٣).

٥- ميزان التأثير: أي تأثير العمل بأن يكون قوياً أو ضعيفاً، سريعاً أو بطيئاً، يثبت أو يزول، فهناك فرق بين تأثير عمل الصغيرة من الذنوب والكبيرة، وفرق بين ثبات وزوال الشرك الخفي والشرك الجلي المتعمد به صاحبه.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ص ٥١٩ ك/ الدعاء ب/ من قال لا إله إلا الله حقاً حقاً ح ١.

(٢) سورة الزمر: (١٠).

(٣) عوالي اللئالي - ابن أبي جمهور الأحسائي: ج ١ ص ٣٦٣ ح ٤٦.

٦- ميزان الحصول : أي وقت تحقق ثوابه أو عقابه إما في الدنيا أو في البرزخ أو في الآخرة ، كما عن روي عن سلام المكي ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال :

«أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقال له شيبة الهذلي ، فقال : يا رسول الله ، إني شيخ قد كبرت سني ، وضعفت قوتي عن عمل كنت قد عودته نفسي من صلاة وصيام وحج وجهاد ، فعلمني - يا رسول الله - كلاماً ينفعني الله به ، وخفف علي يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أعدّها .

فأعادها ثلاث مرات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما حولك شجرة ولا مدرة إلا وقد بكت من رحمتك ، فإذا صليت الصبح فقل عشر مرات : سبحان الله العظيم وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإن الله عز وجل يعافيك بذلك من العمى والجنون والجذام والفقر والهرم .

قال : يا رسول الله ، هذا للدنيا ، فما للآخرة ؟

قال : تقول في دبر كل صلاة : اللهم اهدني من عندك ، وأفض علي من فضلك ، وانشر علي من رحمتك ، وأنزل علي من بركاتك .

قال : فقبض عليهن بيده ثم مضى .

فقال رجل لابن عباس : ما أشد ما قبض عليها خالك !

فقال النبي ﷺ : أما إنه إن وافى بها يوم القيامة ، لم يدعها متعمداً ، فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يدخلها من أيها شاء»^(١) .

ومن ذلك ما يثاب به الكافر في الدنيا حتى لا يبقى له شيء ، وما يعاقب به المؤمن في الدنيا حتى لا يبقى عليه شيء كما سيأتي .

٧- ميزان الرتبة في الدرجات : أي في درجات الجنان أو النيران بأن يكون أعلاها أو أوسطها أو أسفلها .

٨- ميزان العدد : أي أجره ، بأن يكون ألفاً أو أكثر أو أقل .

وإذا تبين لك كل ما مر سابقاً ..

ستدرك أن تفاوت موازين الأعمال يؤثر في عملية تبدل الصور ، فما كان منها أثقل في قدره وقيمته وتأثيره وغير ذلك كان مدد التغيير فيه أسرع ؛ كالكفر والإيمان بالله - سبحانه وتعالى - مثلاً ؛ فالكافر إذا آمن تبدلت صورته مباشرة بنطقه للشهادتين وطهر جسده ، والمسلم إذا كفر تبدلت صورته مباشرة بكفره ونجس جسده .

(١) الأملاني - الشيخ الصدوق : ص ١١٠ ح ٥/٨٥ .

وهذا ما يسمى بالانقلاب^(١) ؛ ولكن ليس مرادنا من الانقلاب هنا بمعنى انقلاب الحقائق ؛ بل نريد بذلك : (أن الطاعة تقلب المادة إلى حقيقتها ، بمعنى أن الله تعالى يقلب المادة بالطاعة نوراً ، ويجعلها بها طيبة ، ويقلب المادة بالمعصية مظلمة ، ويجعلها بها خبيثة)^(٢) .. لأننا قد أشرنا مراراً أن الأحكام وإن كانت تتعلق بالماهيات إلا أن المثاب والمعاقب في نهاية الأمر هو المادة لا الصورة ، وأن المعاد هو المادة وإن تغيرت الصورة كما سيأتي .

وما كان منها أقل قدراً وتأثيراً وحصولاً وغير ذلك كان أبطأ في تغير الصورة كـبعض صغائر الذنوب التي يحتاج الأمر فيها إلى المداومة والتكرار حتى تستقر هيئة صورتها في النفس .

ثانياً : الجهة الخاصة بحقيقة العامل للعمل

مما لا شك فيه أيضاً أن لحقيقة العامل تأثيراً على أبعاد (موازن) العمل ، وعلى عملية تبدل أو تغير الصور والآثار المترتبة عليها .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ١٤٠ .

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٢٣٨ .

فإن التكليف (الشرعي العملي وإن كان أثمان النعيم إلا أنه يظهر نوره في الشخص على حسب معدن قابليته ؛ فإن كان فيها التشريعي الوجودي وحده انطبع فيها نور العملي ظلياً صورياً لا ذاتياً ، فيكون ضعيفاً لأنه في الحقيقة تابعة بحت ، وإن كان فيها مع التشريعي الوجودي الوجودي التشريعي طاب المعدن ولطف وصفا فانطبع فيها نور العملي ذاتياً نورياً لا عرضياً ، فكان قوياً لأنه في الحقيقة متبوعية بحت)^(١).

بمعنى آخر ..

إن الاختلاف بين طينة المؤمن المخلوقة من العشر القبضات ، وبين طينة الكافر المخلوقة كذلك من عشر قبضات - كما مر سابقاً - ؛ اختلاف جوهري في أصل الذات.

أي : إن زيدا المؤمن ، وعمراً الكافر ، وإن ظهرا كلاهما بالصورة الإنسانية ظاهراً ؛ إلا أن حقيقة الباطن بينهما مختلفة ، واختلاف جوهريهما له مدخلية في ظهور هيئة صورة العمل على ذاته ، أو مثاله في الملكوت أو البرزخ.

(١) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٧٨.

فإذا كانت الصورة ذاتية لنفس صاحبها كصورة الطاعة للمؤمن ،
كان ظهورها مشابهاً لصفته النورانية ، وإذا كانت استعمالية كصورة
الطاعة للكافر كان ظهورها بالآثار فقط^(١) .

وعلى ذلك ..

لو صدر منهما نفس الطاعة كما لو تصدقا كلاهما بنفس المبلغ ،
أو نفس المعصية كما لو زنا كلاهما بذات بعل ؛ فحتماً لاختلاف
حقيقتيهما تأثير في ذلك .

بغض النظر عن آثار العمل التي تعمهما لأن الطاعة والمعصية لا
لزوم لهما بأحد دون غيره كما قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ
أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٢) .

وكيف لا يكون كذلك؟

والتأثير موجود حتى في خصوص الفئة الواحدة ؛ فالمؤمنون مثلاً
يختلفون في الإيمان بحسب الدرجة التي استقرت حقيقة كل واحد منهما
فيها ، ولهذه الدرجة خصوصيات تؤثر في مباشرة تغير الصورة وفي
آثارها .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٣٩١ .

(٢) سورة فصلت : (٤٦) .

فصورة صلاة العالم لا ريب أنها مختلفة عن صورة صلاة الجاهل بأحكامها وحقائقها، وذنوب المقرب منهم ﷺ يختلف عن ذنب البعيد عنهم.. ولذا قيل أن سيئات المقربين حسنات الأبرار.

وآثار صورة الحسنة من الزاني والزانية تختلف عن آثار صورة الحسنة الصادرة من ابنيهما.. فالزاني والزانية إذا تابا توبة خالصة دخلوا الجنة لأن طينتهم منها وإليها يعودون، أما ابنيهما فلا يدخل إلا حظائر الجنان، وإن كان مؤمناً وعمل صالحاً^(١)؛ لأن أعماله ليست زاكية في جميع مراتبها^(٢).

فالمؤمن إذا عمل الحسنة مرت على رتب قبضاته العشر، وانتقشت في كل واحدة منها صورة حسنة للتوافق بينهما - أي: بين الحسنة وطينته المخلوقة من بحر الطاعة - في أمر الوجودية^(٣)، فتكتب له عشر حسنات - حسنة لكل صورة منتقشة - إذا عمل لمرورها على العشر القبضات، وحسنة إذا نوى لمرورها على قبضة قلبه فقط، وصورة الحسنة ذاتية في عمله.

(١) رسالة في جواب بعض الأجلاء "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٧١.

(٢) رسالة في جواب محمد مهدي الأسترابادي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١١ ص ١٢٧.

(٣) رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١١ ص ٧٤.

إما إذا نوى السيئة لم تكتب عليه لغرابتها عن تلك القبضات ؛
فتراه إذا عملها أصبح نادماً وكارهاً لها لأنها ليست من أصله ؛ وإذا
عملها مرت على تلك القبضات مرور العرض^(١) ؛ فإن تاب قبل مضي
سبع ساعات انمحت لعدم ثباتها ومناسبتها لحقيقة ذاته ، وإذا لم يتب
كتبت واحدة لاستقرار نقش صورة تلك السيئة في قبضة جسده^(٢) .

فقد روي عن أحمد بن محمد ، عن علي بن حديد ، عن جميل بن
دراج عن زرارة ، عن أحدهما عليهما السلام قال : «إن الله تبارك وتعالى جعل
لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، ومن هم
بحسنة وعملها كتبت له بها عشراً ، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب
عليه سيئة ، ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة»^(٣) .

وصورة المعصية إذا استقرت في قبضة جسده احتاج صاحبها إلى
الكسر والتصفية إما بالتوبة أو الابتلاء أو التصفية في البرزخ^(٤) ؛ لأنها
ليست من أصل ذاته (عرضية) ، فتزول عنه ظلمتها قبل رجوعه إلى

(١) رسالة في جواب الشيخ محمد الصحاف الأحسائي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ١٣ ص ٢٩٤ .

(٢) رسالة في جواب بعض الأخوان من أصفهان "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٥٦-٥٥ .

(٣) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ٤٢٨ ك/ الإيمان والكفر ب/ من يهم بالحسنة أو السيئة ح ١ .

(٤) رسالة في جواب الشيخ محمد الصحاف الأحسائي "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ١٣ ص ٢٩٨ .

أصله المنير؛ لأن ما خلق من النور يعود إلى أصله النور، وما خلق من الظلمة يعود إلى أصله المخلوق منه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا وبه وجع في شيء من بدنه لا يفارقه حتى يموت يكون ذلك كفارة لذنوبه»^(١)، وعن الأحمسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تزال الغموم والهموم بالمؤمن حتى لا تدع له ذنباً»^(٢).

أما الكافر فإنه إذا عمل الحسنة للطخ الذي أصابه من جهة امتزاج طينته مع طينة المؤمن لما كسروا في عالم الطبيعة - كما ذكرنا سابقاً -، وللصورة الإنسانية الظاهر بها في هذا العالم^(٣)؛ لحقه عرض الصورة دون ذاتها.

أي: إن صورة عمل الحسنة أو الطاعة تكون من غير روح^(٤)؛ لأنها عرضية^(٥) أجنبية عن قبضاته؛ ولذا فإنه إذا عمل الحسنة كان قلبه كارهاً لها.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٢٤١ ب ١٢ / شدة ابتلاء المؤمن وعلته وفضله ح ٧٣.

(٢) نفس المصدر السابق: ح ٧٤.

(٣) رسالة في جواب بعض الأخوان من أصفهان "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٥٦-٥٥.

(٤) ثلاث رسائل "الجلسة الملكوية" - الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي: ص ٩٢.

(٥) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٧٤.

وبما أنها أجنبية عنه - الحسنة - فهي أيضاً تفارقه كما تفارق المعصية المؤمن، وذلك :

إما بالثواب في الدنيا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فأما المؤمن فيروع فيها، وأما الكافر فيمتع فيها»^(١).

أو بالتخفيف في عذاب البرزخ حتى يضمحل ما ليس منهم وإليهم ؛ وذلك لأنه وإن تعلق صورة الحسنة بهم لمقتضى اللطخ أو أسباب الفعل إلا أنها ليست لهم ولا من سنخ قبضاتهم، ولا يدخلون النار إلا بالصور التي تناسبهم كلاباً وخنزيراً وغير ذلك^(٢)، فقد روي عن عبيد الله بن الوليد الوصافي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إن فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام قال : إن لي عبداً أبيحهم جنتي وأحكمهم فيها.

قال : يا رب ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها؟
قال : من أدخل على مؤمن سروراً، ثم قال : إن مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجل من أهل

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٦٤ ص ٢٤١ ب ١٢ / شدة ابتلاء المؤمن وعلته وفضله ح ٧٧.

(٢) رسالة في جواب بعض العارفين في الرؤيا "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٧٩.

الشرك فأظله وأرفقه وأضافه ، فلما حضره الموت أوحى الله ﷻ إليه وعزتي وجلالي لو كان [لك] في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ؛ ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً ، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طر في النهار .

قلت : من الجنة؟

قال : من حيث شاء الله»^(١) .

وأما إذا فعل - الكافر - المعصية مالت نفسه إليها لتوافق أمر العدمية بينهما ؛ أي : عدمية المعصية وعدمية القبضات ؛ فالحسنة نور ووجود وحياء ، والمعصية ظلمة وعدم وممات ، فتلحقه ذات هيئة الصورة في معصيته^(٢) .

فكل حقيقة تؤثر فيما تقبله مما يناسبها من الصور ؛ أي : إن حقيقة المؤمن لما كانت نورانية فأنجذابها إلى ما يناسبها من الصور النورانية أسرع - بغض النظر عن شدة أو ضعف ذلك القبول بالمدائمة أو غيره - ، أما الصورة الظلمانية فإنها لما كانت أجنبية عن حقيقته فتعلقها به يكون أبطاً في القبول لحاجتها إلى التكرار أو المدائمة .

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ١٨٩ ك / الإيمان والكفر / إدخال السرور على المؤمن ح ٤ .

(٢) رسالة في جواب الملا محمد مهدي الأسترابادي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١١ ص ٧٤ .

وأما حقيقة الكافر لما كان يناسبها من الصور الظلمانية والشيطانية كان انجذاب حقيقته أسرع ، ولذا ترى بعضهم يسر بفعل المعاصي والفواحش ، بغض النظر أيضاً عن شدة وضعف ذلك القبول بالمدائمة أو بغيره من الأمور كأن يكون منشأ الصورة من قلبه فقط أو من جميع قبضاته .

الفصل الرابع

وفيه مطلبان :

الأول: الأقوال في المعاد الجسماني وتجسم الأعمال

الثاني: المعاد الجسماني وتجسم الأعمال

المطلب الأول: الأقوال في المعاد الجسماني وتجسم الأعمال

قبل تناول طيات الكلام في هذا الفصل ، أود الإشارة إلى نقطتين هامتين في هذا المطلب من شأنهما بيان أو إيضاح الخطوط العامة لما سيأتي لاحقاً^(١) ، وهما :

النقطة الأولى : في المعاد الجسماني

مما لا شك فيه أن مسألة المعاد - وما يرتبط بها من أحوال كتجسم الأعمال وغير ذلك - من المسائل التي كثر القيل والقال فيها. فمنذ العصور الأولى للإسلام وحتى الآن انطحنت حبات أفكارها في رحي واحدة تديرها يد الفلاسفة الذين تقيدوا بقواعد العقل من دون لجمه بلجام من جهة ، ويد علماء الكلام الذين تقيدوا بالنص الشرعي

(١) ليس الهدف من إنشاء هذا المطلب نقد الأقوال التي تعرضت لمسألة المعاد في الشريعة الإسلامية أو لمسألة تجسم الأعمال ؛ وإنما جاء بيانها كتمهيد لفهم غاية المطلب الآتي وما يدور عليه الكلام فقط.

في إثباتها من جهة أخرى ؛ وذلك لأن المتكلم مؤمن يريد أن يتعقل ، أما الفيلسوف فهو يتعقل لكي يؤمن^(١).

وبشكل مجمل لقد تم تناول هذه المسألة من جهتين :

الجهة الأولى : تم النظر فيها إلى مسألة المعاد من حيثية الروح والجسم ؛ أي : من حيثية أن هذا الإنسان الظاهر أمامك مكون من روح وجسم ، فهذه النظرة تعتبر نظرة عامة يفهمها حتى العوام.

وعلماء الكلام من هذه الجهة تقيدوا بالنص الديني ، وقالوا بالمعاد الجسماني لتضافر النصوص الوحيانية في ذلك من قبيل : ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ❁ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

أما - بعض - الفلاسفة فقالوا بالمعاد الروحاني فقط ؛ بناء على قاعدة استحالة المعدوم ، وشبهة الأكل والمأكول^(٣).

طبعاً المسألة من هذه الجهة ظلت عالقة بين علماء الكلام والفلاسفة لقرون طويلة ؛ لأن الفلاسفة كانوا بحاجة إلى من يثبت لهم هذه المسألة

(١) علم الكلام ومدارسه - د. فيصل بدير عون : ص ٤٨ .

(٢) سورة يس : (٧٩-٧٨).

(٣) جوامع الكلم "رسالة في جواب الميرزا أحمد في شبهة الأكل والمأكول - الشيخ أحمد الأحساني : ج ٥ ص ٣.

بالدليل العقلي ، وعلماء الكلام لم يكن لديهم إلا النص ، ولم يرتضوا كذلك بدليل الفلاسفة العقلي .

فالأمر بينهم أشبه ما يكون بقضية الخلاف في النبوة بين إنسان مسلم وآخر مسيحي .. المسلم يقول إن النبي محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء ، ولا يرضى بإثبات خلاف ذلك إلا من شريعته الإسلامية ، والمسيحي يقول إن النبي عيسى ﷺ هو خاتم الأنبياء ، ولا يرضى بإثبات خلاف ذلك إلا من شريعته المسيحية . فلا هذا يرضى بدليل ذاك ، ولا ذاك يرضى بدليل هذا .

وعلى أي حال ..

الحق في المسألة من هذه الجهة هو صحة المعادين ؛ إي : إن المعاد يكون للروح والجسم معاً^(١) .

الجهة الثانية : تم النظر فيها إلى مسألة المعاد من حيثية المادة والصورة ، فهذه النظرة تحمل عمق وخصوصية فلسفية أكبر من نظرة الجهة الأولى .

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٠٠ .

وبما أنها تحمل طابعاً فلسفياً لا يمكن لجميع المدارك والأفهام التوصل إليه كما في الأولى ، صعب إدراكها وكثرت الأقوال فيها ، فمنهم من قال :

١- أن المعاد هو هذا الموجود الدنيوي بمادته وصورته بحيث لا يتبدل ولا يتغير.

٢- أن المعاد هو المادة ، والصورة تتبدل وتتغير بحسب صورة الأعمال.

٣- أن المعاد هو الصورة الدنيوية وإن اختلفت مادتها^(١) .
والقول الثاني^(٢) هو الحق - كما سيأتي - ، فإذا تأملت ما سبق ستجد بأننا قد بنينا جملة كبيرة من الأفكار على هذا القول ، وكذلك ما سيأتي سوف يكون مرتكزاً عليه أيضاً.

النقطة الثانية : في تجسم الأعمال

كما اختلفت الأقوال في ساحة التنظير الفكري في أساس مسألة المعاد ؛ جاءت كذلك معظم ما ارتبط بها ؛ كمسألة الثواب والعقاب.

(١) إحقاق الحق - الميرزا علي الحائري الإحقاقي : ص ٧١ .

(٢) هذا القول هو رأي الشيخ الأوحدي^{قدس سره} في المعاد الجسماني ، ومن تبعه من علماء مدرسته .

فمنهم من قال :

١- إن العلاقة بين عمل المكلف وبين الثواب والعقاب علاقة اعتبارية، بمعنى أنهما (الثواب والعقاب) مجرد جزاء على الأعمال التي يقوم بها المكلف، من دون أن يكون هناك أي ربط بينهما، كالرباط الذاتي أو التكويني أو التلازمي أو العليّ.

كالعقوبات الدنيوية المجعولة من قبل جعل جاعل.. فلو سرق إنسان شيئاً ما، فالقاضي هو الذي يجعل له جزاء عقوبته من دون أن يكون هناك ربط تكويني في هذا الجعل.

وعلى ذلك.. فقد يسرق السارق ولا تتم معاقبته - كما هو الحال في

بعض الحالات -؛ لأن الأمر التكويني خارج نطاق هذا الجعل!

والله - سبحانه وتعالى - في يوم القيامة كالقاضي؛ أي: يقوم بجعل جزاء للمكلف على حسب عمله، كأن يقول له: أنت عملت كذا فلك أو عليك كذا.

ولا اعتبارية الأعمال (عرضيتها) قال أصحاب هذا الرأي بعدم تجسمها أو حتى وزنها^(١).

(١) مجمع البيان- الطبرسي: ج ١ ص ٤٣١.

ومن قال منهم بإمكان تجسمها :

فالتجسم لا يكون للعمل نفسه وإنما لجزاء الثواب أو العقاب ؛ أي :
للصور الحسنة أو السيئة التي يخلقها الله عز وجل بإزاء العمل نفسه ، فهناك
مغايرة بين الجزاء (الثواب أو العقاب) وبين العمل^(١) .

٢- إن العلاقة بين عمل المكلف وبين الثواب والعقاب علاقة
تكوينية ذاتية تلازمية .

بمعنى : أنهما عين أعمال المكلف^(٢) .

فلا يوجد هناك تغاير أو اثنيه بين العمل والجزاء للربط الحاصل
بينهما ؛ أي : إن الحقيقة واحدة وما ظهورها بصورة مختلفة غداً إلا
لأحكام ذلك الموطن - كما ذكرنا سابقاً ..

فالتجسم يكون للعمل نفسه لا لشيء آخر خارج عنه أو قائم
بإزائه ؛ لأن الأعمال جواهر قارة ثابتة في مكانها وأوقاتها بمقاديرها
وحدودها عند الله - سبحانه وتعالى -^(٣) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٧ ص ٢٣٠ ب ٨ / أحوال المتقين والمجرمين في يوم القيامة .

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحساني : ج ٣ ص ٣٩٧ .

(٣) الهداية في البيان والمعاني - أبو تراب القزويني : ص ٢٨٤ .

والقول الثاني هو الحق ؛ وذلك :

أولاً : إن القول بأن الأعمال من مقولة العرض (اعتبارية) فلا يمكن تجسمها لأن تجسمها يعني تحقق العرض بلا جوهر ؛ ولو تجسمت فالتجسم يكون لجزء العمل من الثواب والعقاب لبطلان الأعمال لأنها عرض فيستحيل إعادتها ؛ يمكن رده بالتالي :

- ١- أن الشيء قد يكون عرضاً في نشأة وجوهراً في نشأة أخرى .
 - ٢- أننا حققنا سابقاً أن الأعمال حقائق وجودية حادثة ، وما طرأ عليه الوجود لا يعدم أصلاً ، وما العدم - كعدم الحسنة أو المعصية التي مضى عليهما سنة مثلاً - إلا عدم نسبي زماني لا عدم مطلق .
- فإن كل شيء موجود في مكانه وظرف ووقته لا يطرأ عليه العدم ، وما طروا العدم النسبي عليه إلا بنسبة الزمان الحالي للزمان السابق ، فقد قال تعالى : ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١) .

(١) سورة يونس : (٦١) .

ثانياً: تضافر العديد من الأدلة الدالة بوضوح على ذلك، ومنها -
بالإضافة إلى ما مر سابقاً -:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

فهذه الآية صريحة بأن الجزاء هو عين العمل لأداة الحصر (إنما)، وهذا يدل على العلاقة التكوينية الذاتية بين العمل والثواب والعقاب لا العلاقة الاعتبارية بينهما.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٢).

لم يقل في هذه الآية: (يوم ينظر المرء جزاء ما قدمت يده) لتدل على العوض أو البديل الاعتباري، وإنما قالت: (ما قدمت يده)؛ أي: عين ما فعلت هذه اليد هو جزاؤه، فالدلالة تكوينية أيضاً لا اعتبارية.

(١) سورة التحريم: (٧).

(٢) سورة النبأ: (٤٠).

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مِمْسًا يَغْلُ وَمَنْ يَعْزَلْ يَأْتِ بِهَا غَلًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١).

وهذه الآية قالت: ﴿تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾؛ أي: تُجزى عين عملها لا بشيء آخر غيره.

٤- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢).

ودلالة هذه الآية نفس دلالة الآية السابقة، فالذي تجده كل نفس في يوم القيامة ليس جزاء عملها بل عين عملها.

٥- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُوفَّيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَاهُمْ إِنَّهُ بَرَّ أَعْمَالُونَ حَئِيرًا﴾^(٣).

أي: يجازيهم بعين أعمالهم.

(١) سورة آل عمران: (١٦١).

(٢) سورة آل عمران: (٣٠).

(٣) سورة هود: (١١١).

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(١).

(ما يأكلون) ؛ أي : الذي يأكلونه من المال الحرام هو نار ، فحقيقة أكل المال الحرام واحدة ولكن لها صور مختلفة ، لها ظهور في الدنيا وهو ما يشاهده الإنسان ، وظهور في الآخرة وهو تجليها بصورة النار المحرقة .

٧- قال عليه السلام : «إنما هي أعمالكم ردت إليكم»^(٢).

أي : عين أعمالكم .

٨- قال عليه السلام : «اتقوا الظلم فإنها ظلما تيوم القيامة»^(٣).

أي : نفس الظلم هو ظلمات ، فلحقيقته ظهوران : دنيوي وأخروي .

٩- قال عليه السلام : «إذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله

الذي كان عمله في دار الدنيا ؛ لأن عمل كل إنسان يصحبه في قبره»^(٤).

(١) سورة البقرة : (١٧٤).

(٢) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة - الشيخ جواد الكربلائي : ج ١ ص ٩٤ .

(٣) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ٣٣٢ ك / الكفر والإيمان ب / الظلم ح ١١ .

(٤) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني : ج ٤ ص ٨٧ سورة الزمر .

١٠- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجالهم»^(١).
أي: نفس هذه الأعمال اليوم سوف تكون موجودة غداً.

(١) نهج البلاغة - الشريف الرضي: قسم الحكمة / الحكمة ٦.

المطلب الثاني: المعاد الجسماني وتجسم الأعمال

أثبتنا في المطلب السابقة أن هذا الإنسان المكلف بالتكليف الشرعي الوجودي الظاهر المشاهد أمامك له جسمان وجسدان :
جسم أصلي (المادة الأصلية) ، وجسد أصلي (الصورة الأصلية)
نزل بهما من عال عالم الإمكان ، وجسم فلكي (المادة البرزخية) ،
وجسد عرضي (الصورة العنصرية) لحقاه أثناء تنزله .
وأن هيئة صورة العمل مرتبطة بمادته وصورته الحقيقية ، لا
بالعرض الذي لحقه .

وأنه يلبس صورة ويخلع صورة جراء أعماله حتى تقبض روحه ؛
فإذا حانت ساعة احتضاره حضر إليه - صلوات الله عليهم - وملك الموت
لقبض روحه في صورة حسنة إن كان مؤمناً ، وفي صورة سيئة إن كان
كافراً .

كما روي عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن
سدير الصيرفي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك يا بن رسول

الله هل يكره المؤمن على قبض روحه قال: «لا والله إنه إذا أتاه ملك الموت لقبض روح جزع عند ذلك.

فيقول له ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فو الذي بعث محمداً ﷺ لأننا أوبربك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينك فانظر.

قال: ويمثل له رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم ﷺ.

فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة ﷺ رفقاًؤك.

قال: فيفتح عينه فينظر فينادي روحه منادٍ من قبل رب العزة فيقول: "يا أيتها النفس المطمئنة (إلى محمد وأهل بيته) ارجعي إلى ربك راضية (بالولاية) مرضية (بالثواب) فادخلي في عبادي (يعني محمداً وأهل بيته) وادخلي جنتي" فما شيء أحب إليه من استلال روحه واللعوق بالمنادي»^(١).

وروي أيضاً أن نبي الله إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً فقال له: «من أنت؟ قال: أنا ملك الموت.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ك/ الجنائز ص ١٢٧ ب/ أن المؤمن لا يكره على قبض روحه ح ٢.

فقال : أتستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟
قال : نعم ، أعرض عني فأعرض عنه ، فإذا شاب حسن الصورة حسن
الثياب حسن الشمايل طيب الرائحة .

فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق المؤمن إلا حسن صورتك لكان
حسبه .

ثم قال : هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح
الفاجر؟

فقال : لا تطيق .

فقال : بلى .

قال : أعرض عني فأعرض عنه ، ثم التفت إليه فإذا هو رجل أسود
قائم الشعر ، منتن الرائحة ، أسود الثياب ، يخرج من فيه ومن مناخره
النيران والدخان .

فغُشيَ على إبراهيم ، ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى حالته
الأولى .

فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورتك هذه لكفته»^(١) .

(١) عوالي اللئالي - ابن أبي جمهور الأحسائي : ج ١ ص ٢٧٤ ف ١٠ / في أحاديث تتضمن شيئاً من الآداب

وإذا مات ؛ أي : إذا كسرت طبيعته العنصرية لمفارقة الأعراض العرضية وصفو الطينة الأصلية ؛ لأن الموت لا يوجب الإعدام ، وإنما هو كسر في الترقى للتخليص من أحكام دار الفناء ليكون صالحاً لدار البقاء ؛ وضع في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة .

والقبر في الظاهر هو محط هذا الجسد المحسوس ، أما في الحقيقة هو موضع قبضة الأرض الباردة اليابسة التي ماثها - خلطها - الملك بين نطفة الرجل ونطفة المرأة ؛ لكسر التنافر وإحلال التوافق بينهما بإذنه - سبحانه وتعالى ..

وذلك لأن طبيعة نطفة الرجل حارة يابسة ، وطبيعة نطفة المرأة باردة رطبة ، فيبوسة تلك القبضة توافق يبوسة نطفة الرجل ، وبرودتها تسكن حرارة نطفته ، أما برودتها فتوافق برودة نطفة المرأة ، ويبوستها ترطب نطفتها^(١) .

وعلى ذلك ..

فلا بد من أن يدفن في موضع تلك القبضة ، وإن دفن في غير موضعها نقلته الملائكة النقالة إليها ولو بعد حين .

(١) أحوال البرزخ والآخرة - الشيخ أحمد الأحساني : ص ٤٧-٤٨ .

فقد روي عنهم - صلوات الله عليهم - : «أن لله تعالى سبعين ألف ملك تسمى بالنقالة ، ينقلون الأموات من حيث لا يشعر الناس»^(١) .
 وروي : «أن رجلاً سأل أمير المؤمنين أن أمي ماتت في طيبة ، أتأذن لي أن أنقلها إلى جوار بيت الله أو حرم الرسول؟
 فقال ﷺ : إن كانت صالحة نقلتها الملائكة ، وإلا فلا خير لك في نقلها»^(٢) .

وأول ما يأتيه في قبره رومان فتان القبور يعيد روحه في جسده فيقول له : اكتب أعمالك !
 فيكتب أعماله في قطعه من كفته بأصبعه وريقه ، وهو يملئ عليه كل صغيرة وكبيرة كما قال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣) ؛ حاضراً ؛ أي : في مكانه ووقته .

ثم يطوي تلك القطعة ويلفها حول عنقه ؛ أي : يلبسه آثار أمثال أعماله في القبر ، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^(٤) ، فإن كانت خيرة

(١) التعليقة على رياض المسائل - السيد عبد الحسين اللاري : ص ٢٩٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) سورة الكهف : (٤٩) .

(٤) سورة الإسراء : (١٣) .

ظهرت أو تمثلت له بأحسن صورة، وإن كانت سيئة تمثلت له في أسوأ صورة، كما ورد في تمثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والولاية.

فقد روي عن عبد الرحمن بن نجران وأحمد بن أبي نصر، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام قال:

«إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ست صور، فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هيئةً، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورةً، قال: فيقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجليه، ويقف التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه، منعتة التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست.

قال: فتقول أحسنهن صورة: من أنتم جزاكم الله عني خيراً؟

فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة.

وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة.

وتقول التي بين يديه: أنا الصيام.

وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة.

وتقول التي عند رجليه : أنا بر من وصلت من إخوانك .
ثم يقل : من أنت ؟

فأنت أحسننا وجهاً ، وأطيننا ريحاً ، وأبهانا هيئةً .

فتقول : أنا الولاية لآل محمد - صلوات الله عليه وعليهم -^(١) .

أما ذوات الأمثال فإنه يجيء بها في يوم القيامة من أمكتها وأوقاتها ، كل مثال عامل بعمله ، وهو نشرها كما في قوله تعالى :
﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾^(٢) ، فيرى نفسه في أمثاله عاملة لعمله ، فلا يستطيع أن ينكر شيئاً منها^(٣) .

ثم يأتيانه منكر ونكيراً ليسألنه عما أريد منه .

والسؤال يكون للذي عقل التكليف في دار الدنيا ؛ أي : للذي محض الأيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً .

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضاً والكفر محضاً ، وأما ما سوى ذلك فيلهى عنهم»^(٤) .

(١) المحاسن - البرقي : ج ١ ص ٢٨٨ ب / الشرائع ح ٤٣٢ .

(٢) سورة الإسراء : (١٣) .

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٩٦-٩٧ .

(٤) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٣ ص ٢٣٥ ك / الجنائز ب / المسألة في القبر ... ح ٢ .

فإن كان ممن محض الإيمان محضاً إذا فرغاً من حسابه في القبر لحقت روحه بجنة الدنيا عند مغرب الشمس إلى الرجعة، ثم يكرم مع آل محمد - صلوات الله عليهم -.

وإن كان ممن محض الكفر محضاً فإذا فرغاً من حسابه لحقت روحه بنار الدنيا عند المشرق إلى الرجعة كذلك^(١).

أما الذي لم يعقل التكليف من المستضعفين، إما لمانع من الموانع كالبله والجنون، أو لداعي من الدواعي كعدم المعرفة بالأطفال، أو لعدم بيان الهدى والضلالة له؛ فهؤلاء لا برزخ لهم في جنان ونيران الدنيا، ولا يبعثون في الرجعة^(٢).

وإنما تبقى أرواحهم في قبورهم حتى يضمحل ما في أجسادهم من الموانع والدواعي الغريبة الحائلة دون تعقلهم للتكليف، فإذا كان يوم القيامة جدد لهم التكليف بتسعير نار الفلق فيأمرون بالدخول فيها.. فمن أطاع أدخل الجنة، ومن عصى أدخل النار.

فقد روي عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن ضريس الكناسي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما حال

(١) أحوال البرزخ والآخرة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٧٠-٧٣.

(٢) أحوال البرزخ والآخرة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٧٧.

الموحدين المقرين بنبوۀ محمد ﷺ من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلم؟

فقال: أما هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فإنه يخذله خدأً إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقي الله في حاسبه بحسناته وسيئاته، فإما إلى الجنة وإما إلى النار؛ فهؤلاء الموقوفون لأمر الله .

قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغ الحلم^(١).

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته هل سئل رسول الله ﷺ عن الأطفال؟ فقال: «قد سئل فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. ثم قال: يا زرارة هل تدري قوله: "الله أعلم بما كانوا عاملين"؟

قلت: لا. قال: لله فيهم المشيئة، إنه إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الأطفال، والذي مات من الناس في الفترة^(٢)، والشيخ الكبير الذي

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦ ص ٢٨٦ أبواب الموت ب ٩/ في جنة الدنيا ونارها ح ٧.

(٢) الفترة: ما بين رسولين من رسل الله.

أدرك النبي ﷺ وهو لا يعقل ، والأصم والأبكم الذي لا يعقل ، والمجنون والأبلة الذي لا يعقل ، وكل واحد منهم يحتج على الله عز وجل فيبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة فيؤجج لهم ناراً ، ثم يبعث الله إليهم ملكاً فيقول لهم : إن ربكم يأمركم أن تثبوا فيها ، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً وأدخل الجنة ، ومن تخلف عنها دخل النار»^(١) .

وأما أصحاب اللطخ الذين تلوثوا من صفات ضدهم فإن كانوا:

١- من أهل الجنة وأصابهم من لطخ أهل النار ، فإما أن يكون اللطخ من الأعمال التي لا روح فيها وهذه يصيبهم ما يطهرهم منها - أي : ما يفقد ويعدم نجاسات الذنوب التي أصابتهم - في الدنيا بالمكارة والبلايا والأمراض أو عند الموت .

فعن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن حمزة بن حمران ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إن الله عز وجل إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله ذنب ابتلاه بالسقم ، فإن لم يفعل ذلك له ابتلاه بالحاجة ، فإن لم يفعل به ذلك شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب .

قال : وإذا كان من أمره أن يهين عبداً وله عنده حسنة صحح بدنه ،

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٣ ص ٢٤٨ ك / الجنائز ب / الأطفال ح ١ .

فإن لم يفعل به ذلك وسع عليه في رزقه ، فإن هو لم يفعل ذلك به هون عليه الموت ليكافئه بتلك الحسنة»^(١) .

وإما أن تكون من الأعمال التي بواعثها من الخيال^(٢) ، وهذه يصفون منها :

إما في القبر، وتصفيتهم - أي : إزالة الأثر العرضي الذي أصابهم من أهل النار- ، تكون إما بإدخالهم في حظيرة النار التي لطحوا منها ، فإن أصابهم لطح - مثلاً - من نار سقر صفوا في حظيرتها ، وإن أصابهم من نار الجحيم صفوا من حظيرتها وهكذا.. وإذا ذهب عنهم ما عرض لهم من مجانسة الأغيار أخرجوا منها وغمسوا في عين الحيوان ثم أدخلوا الجنة. وإما بإيصال الريح التنتة من الحميم إليهم من حظيرة النار التي لطحوا منها حتى تأخذ ما كان من سنخها.

أو في برازهم إن بقي عليهم شيء من اللطح ليردوا يوم القيامة طاهرين لا شيء عليهم^(٣) .

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٢ ص ٤٤٤ ك / الإيمان والكفر ب / تعجيل عقوبة الذنب ح ١ .

(٢) الرسالة التوبلية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٨ ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٣) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٧٤ .

فالبرزخ هو نهاية تصفيتهم كما روي عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الرحمن بن حماد ، عن عمرو بن يزيد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني سمعتك وأنت تقول : « كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم ؟ قال : صدقتك كلهم والله في الجنة .

قال : قلت : جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبار ؟ فقال : أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي ؛ ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ .
قلت : وما البرزخ ؟

قال : القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»^(١) .

٢- من أهل النار وأصيبوا من لطح أهل الجنة ؛ فإما أن يكون اللطح :

من الأعمال التي لا روح فيها فيصفون منها بنيل ثوابها في الدنيا ؛ كقضاء حوائجهم أو المد في أعمارهم أو البسط في أرزاقهم وغير ذلك كالتخفيف عليهم في وقت نزع الروح عند الموت .

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٣ ص ٢٤٢ ك / الجنائز ب / ما ينطق به موضع القبر ح ٣ .

وإما أن تكون من الأعمال التي بواعثها من الخيال ، فيصفون منها إما : في القبر بإيصال الروح والريحان لهم من حظيرة الجنة التي لطخوا منها حتى يؤخذ ما لم يكن منهم ، أو في برازخهم بتخفيف العذاب عنهم عند مطلع الشمس وبعد انقطاع ما لهم من الثواب الصوري يغمسون في الماء الأجاج والحميم ثم يعودون إلى ما بدأوا منه .

وإما أن تكون بواعث تلك الأعمال من القلوب والأفئدة فيصفون منها في يوم القيامة بتخفيف أهوالها وشدائدتها حتى يعودوا بعد ذلك إلى أصلهم الذي خلقوا منه^(١) .

وعليك أن تعلم :

أن أهل النار وإن أصابهم لطح من أهل الجنة فإنهم لا يدخلون الجنة ولا حظائر أبدأ ؛ لأن حسناتهم التي أصابوها حسنات عرضية مجتثة لا روح فيها ؛ فلا صورة لهذه الأعمال يستحقون عليها دوام النعيم .

ولا يسكن حظائر الجنان إلا ثلاثة وهم : مؤمنو الجن ، وأولاد الزنا إلى سبعة أبطن ، والمجانين الذين لم يعقلوا التكليف ؛ لأنهم خلقوا منها

(١) الرسالة التولية "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحساني : ج ٨ ص ٢٠١-٢٠٢ .

وإليها يعودون ، وإن أصاب هؤلاء شيء من اللطخ طُهرُوا كما مر سابقاً ؛ ولكنهم إذا أخرجوا من حظائر النار يغمسون في العين النضاحة - لا في عين الحيوان - ويدخلون حظائر الجنان بعد ذلك كلٍّ بحسب درجته^(١) .

وأن أهل الجنة وإن أصابهم من لطخ أهل النار فإنهم لا يدخلون النار أبداً .

أما حظائرها فيردها البعض للتصفية - كما مر سابقاً - ثم يخرج منها ، ولا يخلد فيها - أي : في حظائر النار - إلا الذين خلقوا من فاضل طينة أهل النار بالتبع ، ولم يجانبوا أولياء الله بالذات .

فمن هذه الجهة كانت مجانبتهم مجانية تبعية لا ذاتية ، فإن كان لهم شيء من أجر الحسنات العرضية أجري لهم كما مر من صور الثواب العرضي ، ومن ثم يردون إلى الحظائر التي خلقوا منها^(٢) .

وفي القبر يضمحل الجسد العنصري - أو الجسد العرضي ، أو الأجسام الغريبة ، أو الصورة الزمانية ، أو فواضل المكلف كلها تعبيرات

(١) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٧٦ .

(٢) الفائدة في كيفية تنعم أهل الجنة وتألم أهل النار "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣

لمعنى واحد^(١) -؛ أي: يعود كل عنصر إلى استقصه عود ممزوجة: الماء إلى الماء، والتراب إلى التراب، والهواء إلى الهواء، والنار إلى النار؛ لأن كل شيء لا يمكنه تجاوز رتبة مبدئه الكائن فيها.

وأبسطاً اضمحلال أو خلع أو ذهاب لصورة العنصرية يكون في أربعين يوماً - وقد يكون أكثر أو أقل من ذلك بحسب طبيعة حقيقة الميت والمكان -؛ لأن عدة الخلع في الصعود كعدة اللبس في النزول.

فإنه لما مرت مراتب اللبس بعشر قبضات - كما قلنا سابقاً -، دورت كل قبضة أربع دورات، دورة لعناصرها، ودورة لمعادنها، ودورها لنباتها، ودورها لحياته، فهذه أربعون في النزول وهي كذلك أربعون في الصعود^(٢).

وقد ذكرنا سابقاً..

إن هذا الجسد (العنصري) لا يحمل صورة الثواب والعقاب؛ لأنه عرض بالنسبة لجسد الإنسان الأصلي.

(١) إحقاق الحق - الميرزا علي الخائري الإحقاقي: ص ٤٩.

(٢) رسالة في جواب بعض الإخوان من أصفهان "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣

أي: إنه كالوسخ وكالثوب يلبسه إذا نزل إلى عالم الكثافات الدنيوية، ويخلعه إذا ارتقى منه في صعوده، فوجوده وذهابه لا يزيد ولا ينقص في الإنسان شيئاً^(١).

إذ لو كان من أصل ذاته لترتب على ذلك عدة أمور منها:

أولاً: لو كانت الصورة الزمانية ذاتية لكان من المفترض أن تكون صورة زيد واحدة منذ وصوله إلى عالم الزمان الكثيف وحتى خروجه منه؛ لأن الذاتي لا يتغير.

وهذا مخالف للواقع؛ إذ إن صورته تتغير من طور زماني إلى آخر^(٢).

ففي طور النطفة لها هيئة صورة النطفة، وإذا انتقل إلى طور العلقة خلع صورة النطفة ولبس صورة العلقة، وإذا انتقل لطور المضغة لبس صورة المضغة، وهكذا أيضاً في طور الطفولة له صورة الطفولة، وإذا أصبح شاباً لبس صورة الشباب، وإذا أصبح كهلاً كبيراً لبس صورة الكهل، وإذا متن وإذا ضعف لبس صورة أخرى.

(١) رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي) "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٦.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٧.

فهو في كل طور له صورة تختلف عن طوره الآخر، ﴿أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ حَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١).

ثانياً: لو كانت الصورة الزمانية ذاتية لكان من المفترض أن تكون صورة جنس الإنسان واحدة؛ أي: تكون صورة جميع البشر واحدة. وهذا مخالف للواقع، فهناك الأبيض والأسود، الطويل والقصير، وهناك من يولد سليم الخلقه ومشوه الخلقه.. وهكذا.

ولو فرضنا أن هناك صورة ذاتية للنوع الأبيض، وصورة ذاتية للنوع الأسود، وصورة ذاتية للنوع السليم، وصورة ذاتية للنوع المشوه؛ فهذا يعني أن هناك أكثر من نوع واحد للإنسان، والله - سبحانه وتعالى - ما خلق إلا آدم واحد وصورة إنسانية واحدة له.

ثالثاً: لو كانت الصورة الزمانية ذاتية لكان من المفترض ألا تؤثر فيها الظروف أو الحوادث.

وهذا مخالف للواقع أيضاً، إذ إن - مثلاً - يد زيد أو رجله بالإمكان أن تقطع بظرف من الظروف أو بحادث من الحوادث؛ لأن السكين مثلاً من نوع العرض البشري العنصري^(٢).

(١) سورة ق: (١٥).

(٢) رسالة في جواب الميرزا أحمد في شبهة الأكل والمأكول "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحساني: ج ٣ ص ١٤٤.

فكل هذه الإشكالات وغيرها تجعلنا نتيقن بأن الصورة الزمانية مجرد عرض بالنسبة للصورة الأصلية.

ومن هنا قلنا: بأنها لا تحمل صورة الثواب أو العقاب؛ لأن تغييرها لا يعني ذهابهما أبداً، فلو أذنب زيد في صورة الشباب ثم أصبح كهلاً، أو سرق في شبابه ثم غاب وعاد في كهولته إلى بلده؛ فالحكم باقٍ عليه لأنه هو هو، وإن تعاقبت تلك الصورة في أطوارها^(١).

أما الروح فتخرج بجسمها الأصلي في ثوبها البرزخي - أي: في الجسم العرضي - إلى البرزخ إما إلى جنان الدنيا وإما إلى نيرانها. وتبقى في هذا الثوب إلى نفخة الصعق، ثم يبطل تركيبه (الجسم البرزخي) ويعود إلى أصله نفوس الأفلاك^(٢).

وهو القالب الذي ذكر في رواياتهم - صلوات الله عليهم -، كما روي عن حمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، عن القاسم بن محمد، عن الحسين بن أحمد، عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: «ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟»

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٤ ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٩٦.

فقلت يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقربون عليهم السلام، فإذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا^(١).

وأما الجسد الأصلي - أو الصورة الأصلية للإنسان أو الجسد الهورقليائي المخلوق من عناصر هورقلييا، أو الطينة الأصلية للإنسان - فيبقى في القبر مستديراً يتنعم من الروح والريحان الذي يخذ من قبره إلى الجنة التي في المغرب، أو يتعذب من النار التي في المشرق إلى يوم القيامة، فإذا نفخ نفخة البعث والنشور اجتمع الجسم الأصلي بالجسد الأصلي اجتماع حكم^(٢).

(١) رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٥

ص ٥١٢.٥١٣.

(٢) الرسالة الخاقانية "تراث الشيخ الأوحاد" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٨٨-٢٩٠.

وقد ذكرنا سابقاً..

إن هذا الجسد أو الطينة التي ذكرت في رواياتهم - صلوات الله عليهم - كما قال الإمام الصادق عليه السلام حينما سئل عن الميت يبلى جسده فقال: «نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم؛ إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلقَ منها كما خلق أول مرة»^(١)، مخلوقة من أرض أو عناصر هورقلييا - أو عالم المثال - من الجهة المحسوسة.

لأن هذا البرزخ الرابط بين عالم المجردات وعالم الماديات أو بين عالم الغيب وعالم الشهادة له جهتان: جهة عليا مجردة؛ أي: أفلاكه الملاصقة لعالم المجردات، وجهة سفلى محسوسة؛ أي: أرضه الملاصقة لعالم الملك اللطيف التي يوجد فيها جنة آدم وجنان الدنيا ونيران الدنيا المحسوسة اللطيفة^(٢).

فمادة هذا الجسد الذي خلق من هورقلييا محسوسة ولكنها لطيفة، ولذا لا يمكن مشاهدتها بالآلة الكثيفة (العين الباصرة)؛ لأن اللطيف لا

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٣ ص ٢٥١ ب/النوادر ح ٧.

(٢) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٤ ص ٣٨٣.

يرى بالشيء الكثيف وإنما يرى بآلة مثله^(١)؛ ولذا قلنا سابقاً بأن هيئة صورة الأعمال لا تُرى - أي: حقيقة صورة العامل للعمل - إلا من قبل المعصوم أو بعض الخواص؛ لكثافتنا فلا نرى إلا ما هو من نوعنا، وللطافتهم التي هي آلة لإدراك ذلك^(٢).

وعلى أي حال..

الصورة التي يحشر عليها الإنسان في يوم القيامة هي هذه الصورة الأصلية، وهي بعينها المرئية الملموسة في الدنيا وإلا لذهب ثوابه وعقابه معها^(٣)؛ ولكنها تتغير.

ومرادنا من تغييرها أو تبديلها أمران:

الأول: نريد بتغييرها أو تبديلها كسرهما وتصفيتهما من الأعراض التي لحقتها.

أي: إزالة كثافة الجسد العنصري عنها لتصاغ صيغة لا تشمل الفساد؛ لأن الممكن إذا تخلص من الموانع أصبح استعداده لا يتناهى،

(١) رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي) "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٥.

(٢) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٤ ص ٣٨٣.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٤٨-٢٥٠.

كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^(١)؛ أي: تصفى من الكثافات لا بمعنى أنها تتغير^(٢).

الثاني: نريد بتغيرها أو تبدلها تجسمها على صورة عمل العامل، أو على الهيئة التي اكتسبتها من أوصاف عمله، أو إعادة العامل بمادته مع صورة عمله.

أي: تعاد(المادة في صورة عمل ذي المادة إذا مات عليه)^(٣)، ف(تقوم تلك الأجساد التي كانت في الدنيا لابسة صورة أعمالها)^(٤).

فالذي يحشر أو (الذي يعاد هو هذا الجسد الموجود بالفعل، بعد تصفية مادته الموجودة بالفعل الآن، يعاد بمادته هذه بعد تصفيتها - كتصفية الزجاج من الحجر الكثيف - في صورة عمله.

فإن عَمَلَ عَمَلِ الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّاعَاتِ أُعِيدَ بِمَادَتِهِ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ؛ لأنها هي صورة الطاعة.

(١) سورة إبراهيم: (٤٨).

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٣) رسالة في جواب الشيخ يعقوب الشيرازي "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ١٦.

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ١٧.

وإن عملَ عملَ الحيوان أعيد بمادته في صورة الحيوان، من حمار أو ثور أو كلب أو خنزير، أو غير ذلك مما اقتضاه عمله من الصورة على كل تقدير^(١).

وهذا هو مفاد قوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾^(٢):

«يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً... فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا، والعمي الجائرون في الحكم، والصم والبكم المعجبون بأعمالهم، والذين يعضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين أشد تنناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم، والذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء»^(٣).

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص

(٢) سورة النبأ: (١٨).

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٣ ص ٢١٣٩.

هذا ما أردنا تسويده في هذه الكتاب ..

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحوال البرزخ والآخرة- الشيخ أحمد الأحسائي : دار المحجة البيضاء ، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ.
- ٣- إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - تحقيق / الدكتور حسين محفوظ: بغداد ١٣٧٦هـ.
- ٤ - إحقاق الحق - الميرزا موسى الأسكوئي : الكويت - مكتبة الإمام الصادق عليه السلام العامة ، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.
- ٥- إقبال الأعمال - رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس : بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٦- أمالي الشيخ الصدوق - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق): بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ.

٧- البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني : قم -
مؤسسة البعثة.

٨- بصائر الدرجات - أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار :
بيروت - مؤسسة النعمان ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ.

٩- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - الشيخ محمد
باقر المجلسي : بيروت - دار إحياء التراث ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

١٠- تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي - تحقيق وتعليق /
الشيخ عبد المنعم العمران : بيروت - دار المحجة ، الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ.

١١- تفسير الصراط المستقيم - السيد حسين البروجردي : قم -
مؤسسة أنصاريان ، ١٤١٦ هـ.

١٢- تراث الشيخ الأوحى - الشيخ أحمد الأحسائي - تقديم / الشيخ
توفيق البوعلي : مؤسسة الإحقاقي - الأميرة للطباعة والنشر ، الطبعة
الأولى ١٤٣٢ هـ.

١٣- توحيد الشيخ الصدوق - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن
الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق) : قم المقدسة - مؤسسة
النشر الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٣٨٧ هـ.

١٤- التعليقة على رياض المسائل - السيد عبدالحسين اللاري :
مؤسسة المعارف الإسلامية / مطبعة باسدار إسلام / قم الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ.

١٥- ثلاث رسائل - الشيخ محمد بن الشيخ عبدعلي آل عبد الجبار
القطيفي / تحقيق : الشيخ حلمي السنان : قم - إسماعيليان ، الطبعة
الأولى ١٤١٦ هـ.

١٦- جواهر الحكم - السيد كاظم الرشتي : العراق - شركة
الغدير للطباعة والنشر المحدودة ، ١٤٣٢ هـ.

١٧- جوامع الكلم - الشيخ أحمد الأحسائي : البصرة - مطبعة
الغدير ١٤٣٠ هـ.

١٨- حياة النفس - الشيخ أحمد الأحسائي .

١٩- الحجة البالغة - السيد كاظم الرشتي : بنيد القار ، الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ.

٢٠- الحدائق الناضرة - المحقق البحراني : مؤسسة النشر الإسلامي .

٢١- خصائص الرسول الأعظم والبضعة الطاهرة - السيد كاظم
الرشتي : مؤسسة فكر الشيخ الأوحى ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

- ٢٢- الخصال - الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي : قم - جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- ٢٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ آقا بزرك الطهراني : بيروت - دار الأضواء ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.
- ٢٤- رسائل الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : بيروت - الدار العالمية ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- ٢٥- رسائل آل طوق القطيفي - العلامة المحقق الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طوق القطيفي : شركة دار المصطفى عليه السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- ٢٦- روضات الجنات - الميرزا محمد باقر الخوانساري : إيران ١٣٠٦ هـ.
- ٢٧- الرسالة الخراسانية - الشيخ محمد أبي خمسين : بيروت - دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ.
- ٢٨- الرسالة الوعائية - الشيخ أحمد الأحسائي : الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.

- ٢٩- سيرة الشيخ أحمد الأحسائي - تحقيق / د. حسين محفوظ:
بغداد - دار المعارف ١٩٥٧ م.
- ٣٠- شرح المشاعر - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : بيروت
- مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.
- ٣١- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة - الشيخ أحمد بن زين الدين
الأحسائي : كرمان - مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.
- ٣٢- شرح العرشية - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي :
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
- ٣٣- شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي :
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
- ٣٤- شرح حياة الأرواح - الميرزا حسن كوهر: تبريز، الطبعة
الأولى ١٣٧٦ هـ.
- ٣٥- علم الكلام ومدارسه - د. فيصل بدر عون: دار الثقافة للنشر
والتوزيع، الطبعة الثانية.
- ٣٦- عوالي اللثالي - الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي
جمهور الأحسائي: قم - دار سيد الشهداء عليه السلام، الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ.

- ٣٧- عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الشهير بـ (الصدوق): بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- ٣٨- الكافي - الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني: بيروت - دار الأضواء ١٤٠٥ هـ.
- ٣٩- نجات المهالكين - الشيخ محمد أبو خمسين: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.
- ٤٠- كشكول الأحسائي - الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.
- ٤١- كفاية الأصول - الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني.
- ٤٢- نهج البلاغة - الشريف المرتضى: قم المقدسة - دار الأسوة، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- ٤٣- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة - الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي: قم المقدسة - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- ٤٤- مجمع البيان في تفسير القرآن - الشيخ علي الفضل بن الحسن الطبرسي: بيروت - دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.

٤٥- مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصايح الأسرار - الشيخ محمد آل أبي خمسين: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٦- مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة - المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٤٧- معجم مقاييس اللغة - أبي الحسن أحمد بن فارس/تحقيق: عبدالسلام محمد هارون: مكتب الإعلام الإسلامي/١٤٠٤هـ.

٤٨- ميزان الحكمة - محمد الريشهري: دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٤٩- المحاسن - الشيخ أحمد بن محمد البرقي - تحقيق/السيد جلال الدين الحسيني: دار الكتب الإسلامية.

٥٠- المخازن - الميرزا حسن الشهير بكوهر: بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

٥١- المنطق - العلامة محمد رضا المظفر: بيروت - مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى.

٥٢- نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين - السيد نعمة الله الموسوي الجزائري: قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

٥٣- الهداية في البيان والمعاني في علم الحكمة - الشيخ أبو تراب بن محمد حسين القزويني: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٧ م.

الفهرس

٥ الإهداء
٧ مقدمة المؤلف
١٣ الفصل الأول :
١٥ المطلب الأول: العمل في سفر الإنسان التكاملي
٢٩ المطلب الثاني: الأعمال حقائق وجودية لا اعتبارية
٤١ المطلب الثالث: علاقة التكليف بالمادة والصورة
٥٣ الفصل الثاني :
٥٥ المطلب الأول: كيفية خلق الخلق
٨٩ المطلب الثاني: تنزل النفس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة
٩٩ الفصل الثالث :
١٠١ المطلب الأول: ظهور النفس في عالم الشهادة وتأثير العمل عليها..
١١٣ المطلب الثاني: اتصاف النفس بهيئة العمل في دار الدنيا
١٢٧ المطلب الثالث: عملية تبدل الصور بالأعمال في دار الدنيا

١٤٣ الفصل الرابع :
١٤٥ المطلب الأول: الأقوال في المعاد الجسماني وتجسم الأعمال
١٥٧ المطلب الثاني: المعاد الجسماني وتجسم الأعمال
١٨١ المصادر والمراجع
١٩١ الفهرس



دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر لبنان - بئر العبد

نسعد بتواصلكم معنا على البريد

DarAlBaqyatAlSalihat@gmail.com